لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

فاوست

FAUST

لشاعر المانيا الكبير

غوتيه

GOETHE

نقله عن الالمانية

محمد عوض محمد

الاستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية

ثمن النسخة ١٢

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر

١٣٤٨ — ١٩٢٩

﴿ صورة ﴾

(ما جاء فى نهاية القسم الثانى من التذكرة)

﴿ * * * ﴾

تم الجزء الثانى بعون الله وتوفيقه صبيحة يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر ذى حجة الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة على يد العبد الفقير المعترف بالتقصير محمد بن اركماس الطويل اليشبكى الحنفى عامله الله بلطفه الخفى وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهما بالرحمة والمغفرة انه على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيراً ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

فاوست

FAUST

لشاعر ألمانيا الكبير

غوتيه

GOETHE

نقله عن الالمانية

محمد عوض محمد

الاستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية

ثمن النسخة ١٢ مـ

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر

١٣٤٨ — ١٩٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة للمعرب :

يشكر المعرب من صميم قلبه جميع أصدقائه الذين تفضلوا بمطالعة هذه الترجمة ونقدها قبل تقديمها للطبع ويخص بالذكر منهم الاستاذ احمد الزيات رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الامريكية ، الذى قرأ الترجمة غير مرة وراجعها على التراجم الفرنسية . وأبدى للمعرب من النقد والنصح ما مكنه من تلافى كثير مما بالكتاب من نقص وخطأ

فالى الاستاذ الكريم يقدم المعرب شكره الخالص .

المقدمة

للأستاذ الدكتور طه حسين

— ١ —

عرفته منـذ أعوام هادئ النفس، صافى الضمير، كريم الخلق عذب الحديث؛ وكان يلذ لى أن أسمع له فأفهَم، كما كان يعجبنى أن أتحدث اليه فيفهَمَ عنى؛ كل ذلك فى سهولة ورفق، من غير تكلّف ولا محاولة. وكنت أقدّر أن بينه و بينى صلة خاصة تقرب المسافة بيننا أو تمحوها. ولم تكن هذه الصلة بالطبع تنشأ عن المادة التى اختص بها، و برع فيها. فقد كان يقال إنه وصاف للارض ماهر فى الوصف، مقوم للبـلدان بارع فى التقويم. درس فى مصر ثم فى انجلترا وعاد الى مصر يحمل اجازات راقيـة فى الجغرافيا — وحَظِّى من هذا العلم قليل، ولا يمكن الا أن يكون قليـلا؛ والا أن يكون مشوهاً بعض التشويه. أثَرُ الخيال والخطأ فيه أكثر من أثر العلم والصواب — فلم يكن غريباً أن أبحث عن هذه الصلة التى كانت تقرب بينى و بين الأستاذ محمد عوض، حتى قال لى قائل إنه يحب الأدب ويشغف به، ويعكف عليه حين يفرغ من وصف الارض وتقويم البلدان. وقال لى قائل بعـد ذلك إنه يحب اللغات ويدرس منها ما يجد الى درسه سبيلا. فهو يتقن الانجليزية والألمانية ويحسن الفرنسية وله من التركية حظ ومن الفارسية نصيب؛ وهو الى استظهاره النصوص العربية القديمة الغليظة لا يحب من اللغات الاجنبية التى يحسنها أو يلم بها الا خلاصاتها العلمية والفنية والادبية؛

لا يعنيـه كثيراً أن يتكلمها فى الاندية ودور التجارة ؛ وانما يعنيه أن يفهمها وينفـذ الى لبها الخالص . قال لى قائل هذا كله فقلت معجباً مبتسما : إنه ليذكرنى بجوته ، فقد كان هذا الشاعر على ألمانيته طُلَعَةً مسرفاً فى الطموح الى ما لا يعلم ؛ يحسن لغات أجنبية ويلم بلغات أخرى ويحاول أن ينفذ الى لباب هذه اللغات وآثارها الفنية والادبية ؛ لا تصرفه اللغـات الجديدة عن اللغات القديمة ولا تلهيه لغات الغرب عن لغـات الشرق فقـد اتصل بالمستشرقين وقرأ صوراً من الادب العربى وحاول أن يترجم الى الالمانية أو ترجم بالفعل القصيدة المشهورة

أن بالشعب الذى عند سلع لقتيـــلا دمه ما يطل

ولم تكن اللغات وآدابها لتلهى جوته عن العلم ، والجد فى تحصيله والامعان فيه فقد كان يعنى الى آخر أيامه بالعلوم الطبيعية عناية لا تعدلها الا عنايته بالآداب والفنون والفلسفة — قال صاحبى : وان صديقنـا ليحب جوته ويقف عليه كثيراً من وقته ؛ وقد أخبرت أنه ترجم (فوست) أو يترجمه . وقد أخبرت أنه يترجم من الالمانية ، لا من لغة أخرى ؛ وقد أخبرت أنه اذا فرغ من قطعة واستوثق من حسن الملاءمة بينها وبين الاصـل الالمانى قابل بين ترجمته العربية وتراجم مختلفة فى الانجليزية والفرنسية ليطمئن الى حسن فهمه وصحة نقله .

هنالك عنيت بالتودد الى هذا الجغرافى الغريب . وانتهزت كل ما أتيح لى من فرصة لأتحدث اليه فأطيل الحديث ولم أزل به حتى اضطررته الى أن يعترف بأنه يترجم فوست وبأنه قد مضى فى هـذه الترجمة الى أمد بعيد . . . ثم التقينا فى لندرة إبّان الصيف الماضى ومكثنا

أياماً لا نكاد نفترق ، وكنا كلما التقينا ابتدأنا حديثاً لا ينقطع الا حين نفترق كارهين . وكنت أفكر ، كلما تحدثت اليه أو تحدث الى ، فى (فوست) وترجمته لفوست ؛ وكنت أقول فى نفسى يجب أن تكون هذه الترجمة صحيحة دقيقة متقنة لأن نفس صاحبى قد تلونت بلون جوته ففى حديثه سخرية متصلة هادئة دائماً ، ولكنها عميقة لاذعة دائماً . . . وكذلك جوته فى القسم الاول من فوست وهو القسم الذى يترجمه صاحبى . ولست أدرى أيذكر الناس أنى قدمت اليهم منذ سنين ترجمة صديقى الزيات لآلام فرتر ، وانى اشترطت فى هذه المقدمة ألا يكتفى المترجم الادبى باجادة الترجمة من لغة الى لغة بل أن يلبس نفس المؤلف وينقل الى الناس شعوره وحسه وعواطفه وميوله وأهواءه كما يجدها المؤلف نفسه ، اشترطت هذا الشرط فى نقل الآثار الفنية والادبية . ولم أكن أشك وأنا أتحدث الى مترجم (فوست) أنه قد استطاع أن يلبس نفس جوته ، ويحس كما كان يحس ، ويرى الأشياء كما كان يراها ؛ لا فى أطوار الترجمة وحدها ، بل فى حياته العادية المتصلة . وسيستطيع كل قارئ عرف الاستاذ أن يتحقق هذا بنفسه حين يقرأ (فوست) فيرى نفس جوته ثم يتحدث الى المترجم فيرى كيف اصطبغت نفسه بتلك الصبغة ، وكيف اتخذت لغته وأحاديثه هذه الالوان التى يراها فيعجب بها حين يقرأ ما فى (فوست) من لغة وحديث .

رجل وقف الخلاصة من حياته على الجغرافيا واستطاع مع ذلك أن يعنى بالأدب ، ويأخذ منه بحظ موفور . ثم أن يهجم على أشق الآثار الادبية وأعسرها ، وأبعدها عن اللغة العربية ، خليق بالاعجاب

والاكبار ؛ وقد أكبرته وأعجبت به وطلبت اليه فى شيء كثير من الاخلاص والمودة الصادقة أن يدع الى تقديم ترجمته الى جمهور القراء من أهل العربية فقبل مبتسما وأحسبه كان راضياً وأحسب أن هذا الرضا لم يكن يخلو من الاغتباط

— ٢ —

ولكنى حين كنت أعرض على صاحبي هذه المقدمة لم أكن أُقَدِّرُ أنى سأتردد كثيراً قبل أن أكتبها . وسأضطر الى قراءة طويلة شاقة ؛ منها اللذيذ الحلو ومنها الثقيل الممل ، قبل أن أبدأ فى املائها . ولم يكن صاحبي حين قَبِلَ ما عرضت عليه يُقَدِّر أنى سأضنيه وأعنّيه وأؤخر صدور ترجمته الاشهر الطوال ، قبل أن أدفع اليه هذه المقدمة . ذلك أن غرور الانسان لا يعدله شيء فنحن نظن بأنفسنا القدرة على تصريف حياتنا كما نحب ونهوى ، حين تخضعنا هذه الحياة لضروب من العبث وألوان من التحكم لا نكاد نعرف لها مصدراً أو نقدر لها غاية . انه لفى ترجمته منذ سنين يُقْدِم عليها حيناً ويُحْجم عنها حيناً آخر ، يحبها ويكرهها ، ينتصر وينهزم ويغالب فيرضى ويكره . وإنى لَفى ما أنا فيه من عمل مختلف ، فيه ما يسر وفيه ما يسوء وفيه على كل حال ما يصرفنى عن جوته وآثار جوته وترجمة هذه الآثار الى اللغة العربيـة أو غيرها من اللغات . ثم يشاء الله فى يوم من الايام أن يتم لصاحبي النصر ، وأن يقدم ترجمته الى المطبعة وأن تهيأ هذه الترجمة لتلقى الى الناس وأن يستنجزنى صاحبي ما وعدت فى الشتاء فاذا أنا غريق فى الفرزدق وجرير ثم فى الربيع فاذا أنا غريق فى الاخطل وذى الرمة ثم فى الصيف فاذا أنا غريق

فى أعمال أخرى ليست من هؤلاء الشعراء بسبيل ؛ ولكنها ليست قريبة من جوته ولا مُرَغِّبة فى قراءته والتفكير فيه . . وصاحبى ينتظر وأنا أعتذر وهو يلح فى رفق وأنا أتعلل فى دعة . وكيف أقدم كتاباً لم أقرأه ! أليس يجب أن أقرأ هذا الكتاب لأستطيع أن أقول عنه شيئاً ؟ فلأختلس اذن ساعات أو لحظات أقرأ فيها هذا الكتاب قراءة متفرقة مقطعة لاصلة بينها ولا جامع بين أجزائها . وعلى هذا النحو قرأت الكتاب فى أشهر .

ولكن أليس من الحق علىّ أن أقرأ هذه الترجمة فى لغات أخرى غير اللغة العربية و بأقلام أخرى غير قلم الاستاذ عوض وأن أقارن بين ما أحدثت الترجمة العربيـة فى نفسى من أثر وأثارت من شعور وبين ما تحدثه وتثيره التراجم الاخرى فى هذه النفس ؟ فلأختلس اذن ساعات ولحظات أخرى أقرأ فيهـا هذه التراجم . ولأقارن بين الترجمة الفرنسية مثلا والترجمة العربية لأنظر أيهما أحسن فى نفسى وقعاً وأيسر اليها مسلكا . ثم لقد بَعُد العهد بينى و بين جوته فنسيته والادباء الاوربيون يذكرونه ويتناولون حيـاته وآثاره بالدرس والبحث فى غـير ملل ولا انقطاع فيكشفون فى كل يوم عن جديد ويظهرون فى كل يوم شيئاً لم يكن معروفاً . أليس من الحق علىّ أن ألم بشىء مما يكتبون لأقدم هذه الترجمة للنـاس عن شىء من العلم والبصيرة ودون أن أتورط فى هـذا الجهل المنكر الذى يتورط فيـه من لا يقرءون ولا يتحرجون مع ذلك من الكتابة والاسراف فى الكتابة عما يعلمون وما لا يعلمون ؟ لأختلس اذن ساعات ولحظات أخرى أقرأ فيها بعض ما كتب الناس عن جوته فى هذه الاعوام الاخيرة ، وليحتمل صديقى الاستاذ عوض بعض المشقة

فى هذه القراءة فعليه أن يبحث لى عن الكتب وأن يحملها الىّ . وعليه فى بعض لأحيان أن ينظر فى هذه الكتب ويُعَلّم لى صحفاً يحسن أن أقرأها أو أنظر فيها . فالكتابة عن جوته كثيرة كثرة لا تكاد توصف متشعبةٌ تشعباً ليس من اليسير أن نحيط به : قوم يكتبون عنه طفلا وآخرون يكتبون عنه شاباً وقوم يكتبون عنه شاعراً وآخرون يكتبون عنه فيلسوفاً ، هؤلاء يبحثون عن أسرته وأولئك يدرسون رفاقه فى الصبا ، هؤلاء يقفون جهودهم على حياته الغرامية . وأولئك يصرفونها إلى حياته العامة ، هؤلاء يُعْنَون بفوست الأول . وأولئك يعنون بفوست الثانى . وآخرون يعنون بفرتر . وقوم يعنون بقصص تمثيلية أخرى . وقوم يعنون بمقطوعات غنائية وآخرون لا يفكرون فى جوته الا من الناحية العلمية . وعلى هذا النحو يتشعب البحث وتمتد أطرافه مع امتداد الزمن وقدرة الباحثين على الدرس والتنقيب . يحاول الباحثون والمنقبون أن يحيطوا بصاحبهم ويحصروه فى دائرة ما حتى لا تفلت منهم دقيقة من حياته أو آثاره . هم يدأبون فى ذلك وشخصية جوته تدأب فى العظم والامتداد . تمتد كما يمتد البحث . فاذا هى تفلت من الباحثين واذا شىء منها كثير لا يزال مجهولا سيتعب الناس ويكلفهم ضروباً من الجد حتى اذا ظفروا به أو خيل اليهم أن قد ظفروا تبينوا أن شيئاً كثيراً من هذه الشخصية لا يزال بعيداً غامضاً عسيراً وكذلك عظماء الرجال لا يبلغون أوج العظمة حين يموتون؛ وانما يبدءون هذه العظمة حين يموتون. وهم كالمثل الأعلى يُطمعون الباحثين والساعين اليهم يحثونهم بذلك على البحث والسعى ولكنهم على ذلك يبعدون عنهم وينأون لأنهم يعظمون

ويعظمون كلما طال عليهم الزمن أو بعد بهم العهد .

وقد كان جوته رجلا عظيما فرضت عظمتُه على الانسانية العاقلة الحساسة أن تحبه وتسعى اليه وتجد فى فهمه والوصول إلى دخيلة نفسه والظهور على عظمته وسر تفوقه . وهل فرغت الانسانية من درس شكسبير ؟ وهل قالت فيه كلمتها الأخيرة ؟ كلا لن تفرغ الانسانية من هذا الدرس ولن تقول هذه الكلمة وكذلك لن تفرغ من درس جوته ولن تقول فيه كلمتها الأخيرة . لن تظفر بعظيم من عظمائها درساً وفهما وتحليلا حتى تظفر بمثلها العليا .

قرأت الترجمة العربية وتراجم أخرى فى لغات أخرى لفوست والمت إذن بشىء مما يكتب الناس فى هذه الأيام عن جوته وعن آثاره وعن فوست بنوع خاص . وأشهد لقد بهرتنى الترجمة العربية ، فما ينقضى اعجابى بها ؛ وما أجد إلى تحقيق الثناء عليها سبيلا . أما الدقة فليس فيها شك ، وحسبى أن أقارن بين هذه الترجمة العربية وتراجم أخرى فى لغات أخرى فأظفر بالملاءمة التامة وحسبى أن أرجع فى كثير من الأحيان إلى الأصل الألمانى مع مترجمين غير الأستاذ عوض ، فاذا ترجمة صاحبى دقيقة دقة لا غبار عليها إلا فى مواضع قليلة أعلن إلىّ هو أنه تصرف فيها بعض الشىء ، ولاحظت أن غيره من المترجمين الأوربيين تصرف فيها أيضاً لأنها لا تستطيع أن تُؤَدَّى فى غير الألمانية .

ولقد قرأت فيما قرأت أن جوته قرأ فى آخر أيامه ترجمة فرنسية لفوست أصدرها الشاعر الفرنسى المعروف جيراردى نرڤال فأعلن الرضا عنها والاعجاب بها وقال لبعض محدثيه أنه منذ سنين لا يحب أن يقرأ

فوست فى الألمانية وأن هذه الترجمة الفرنسية قد حببت اليه النظر فى هذا الكتاب . كان ذلك قبل أن يموت جوته بسنة أو سنتين . وأشهد لو قدر لجوته أن يعيش إلى هذا العصر أو قدر لعوض أن تتقدم به الحياة إلى أوائل القرن الماضى لقال جوته فى ترجمته مثل ما قال فى ترجمة جيرار دى نرڤال. ففى هذه الترجمة العربية دقة، وفيها ظرف ورقة، لم نعرفهما فى التراجم العربية للآثار الأدبية الأوربية . فأنت تقرأ هذه الترجمة فيخيل اليك أنك تقرأ كتاباً لا ترجمة كتاب . لولا هذه الحواشى القيّمة التى يلفتك المترجم بها إلى أنه يترجم كتاباً . فهو يشرح بعض نصوصه الغامضة ، أو يفسر بعض أسمائه الغريبة ، أو يرد بعض معانيه الى مصادرها الأولى ، وقد تعودنا من الذين يترجمون الآثار الأوربية الى اللغة العربية أن تثقل عليهم الترجمة ، فيخففون عن أنفسهم ثقلها بتكلف الألفاظ الغريبة ، يلتمسونها فى المعاجم سواء ألفتها الآذان أم لم تألفها ، وبالجمل الفخمة الضخمة يفخمونها ويضخمونها ليُخْفُوا ضعفهم فى الفهم أو قدرتهم على الأداء . فأما هذه الترجمة فسهلة يسيرة . كتبت باللغة التى يتكلمها الناس ويفهمونها، والتى تسمعها من المترجم حين تتحدث اليه ، ليس فيها غريب وليس فيها جملة منتفخة وانما هو كلام مألوف منسجم عذب لا يصرفك عن المعنى ولا يلهيك عن الموضوع . وكذلك ترجمة جيرار دى نرڤال فى الفرنسية دقيقة يسيرة واضحة إلا أن يكون الأصل غامضاً فينبه المترجم إلى هذا الغموض كما ينبه المترجم العربى .

وشبه آخر بين المترجمين : وهو أن المترجمين آثرا النثر لأنه أيسر وأدنى ولكنهما فى الوقت نفسه لم يهملا الشعر ولم ينصرفا عنه الانصراف

كله فترجما بعض الأغانى و بعض المواضع الأخرى شعراً لأن النثر لا يستقيم لها . ولكن جيرار دى نرفال كان شاعراً أما عوض فجغرافى. والغريب أن شعر هذا الجغرافى لا تنقصه الخفة والروعة والظرف فى أكثر الأحيان . وان كان قد يتكلف من الضرورات ما قد كان يستطيع اجتنابه لو أنه صاحب شعر لا صاحب وصف للأرض وتقويم للبلدان . . . ترجمة جيدة لا أعرف أنى قرأت ترجمة أخرى لأثر من الآثار الأوربية فى لغتنا العربية تعدلها أو تدانيها دقة وخفة وسهولة وظرفاً . فليهن هذا الجغرافى البارع فى فنه ، على ما يقول الجغرافيون ، هذا الحظ الموفور من البراعة فى الأدب والتصرف فى فنون الشعر والنثر فى غير جهد ولا تكلف ظاهر .

— ٣ —

وهل أنا فى حاجة إلى أن أتحدث اليك عن جوته وفوست بعد أن تحدثت اليك عن مترجمه ؟ وهل تظن أنى أفيك شيئاً كثيراً من العلم ان قلت لك أن جوته ولد سنة ١٧٤٩ ومات سنة ١٨٣٢ثم قصصت عليك فى إيجاز بالطبع ما تعود المترجمون أن يقصوه من حياة هذا الشاعر الفيلسوف ؟ ألست تستطيع أن تظفر بهذا فى دوائر المعارف على اختلافها ؟ وأنت لا تطمع منى فى أن أدرس لك هنا حياة جوته درساً مفصلا . فأنا أرجو أن شوقك إلى قراءة فوست فى اللغة العربية أشد من أن يدعك تقرأ حياةً مفصلةً لمؤلفه الآن ولكن كلمة عن (فوست) نفسه شىء لا بد منه قبل أن تبدأ فى قراءة هذه القصة الغريبة التى

أثرت فى الحياة الأدبية والفنية لهذا العصر الحديث آثاراً بعيدة لم تبلغ أمدها بعد ويظهر أنها لن تبلغ أمدها قبل وقت طويل

فالقصة قد ترجمت إلى اللغات الأوربية كلها وقد فسرت وشرحت من انحاء مختلفة وقد مثلت فى الملاعب وغنيت فى دور الموسيقى . لحنها كبار الموسيقيين فى أوربا المتحضرة ثم انبسطت أشعتها حتى غمرت الآثار الأدبية المختلفة وتجاوزتها إلى الفلسفة فليس هناك أديب من أدباء القرن الماضى ولا من أدباء هذا العصر الا تأثر بفوست وليس هناك فيلسوف الا تأثر بفوست قليلا أو كثيراً فى فلسفته ولا سيما بفوست الثانى الذى هو إلى الفلسفة أقرب منه إلى الأدب والبيان .

وقد نحب أن نتعرف تاريخ فوست فنجد فى ذلك شيئاً من المشقة والصعوبة . ذلك ان هذه القصة لم تكتب كما كتب غيرها من القصص التمثيلية التى أنشأها جوته . وانما استغرقت كتابة فوست الأول أكثر الحياة العاملة للشاعر الفيلسوف . بدأها شاباً ثم انصرف عنها راضياً أو كارهاً ثم كان يعود اليها من حين إلى حين فيكتب منها منظراً أو بعض منظر ثم ينصرف عنها عاماً أو أكثر من عام ثم يعود اليها فيضيف جزءاً طويلا أو قصيراً . وظل كذلك حتى أتمها أو خيل اليه أنه أتمها فى أوائل القرن الماضى . ثم انصرف عنها حيناً ؛ ورجع اليها فكتب فوست الثانى. والذى ينظر فى هذه القصة يلاحظ شيئاً ظاهراً من التفكك والتفرق والبعد عن الوحدة الفنية ويحس احساساً قوياً بأن الكاتب لم يفرغ لها وقتا بعينه ولم يرسم لها حدوداً معينة وانما أنشأها على النحو الذى أشرنا اليه . ولكنه ، مع هذا ، حين يقرأ القصة ويمعن فيها التفكير يشعر بهذه

الوحدة الفنية الفكرية قوية أشد القوة ، واضحة أشد الوضوح ، فالشاعر لم يضع قصة تمثيلية وانما وضع حواراً فنياً فلسفياً فهو اذن غير مقيد بالوحدة التمثيلية ولكنه مقيد بالوحدة الفكرية الفلسفية ، وقد وفق إلى هذه الوحدة توفيقاً غريباً . كتب هذه القصة فى أكثر من ثلث قرن ولكنك لا تجد فيها ضعفاً ولا اضطراباً ولا اختلافاً وانما تقرأ فكأنك تقرأ لكاتب قد فرغ لموضوعه فأتقنه وأحسن تصويره وتأديته.

المصدر الظاهر لهذه القصة هى أسطورة الدكتور فوست التى كانت شائعة فى أواخر القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث والتى تناولها بعض الكتاب الانجليز والالمان فكتبوا فيها كتباً مختلفة بل وضعوها وضعاً تمثيلياً . ولكن لهذه القصة مصادر أخرى فلم تكن أسطورة الدكتور فوست الا قالباً صبت فيه فكرة أدبية فلسفية راقية فهل من الحق أن جوته لم يتأثر بما سبقه اليه ڤولتير من السخرية اللاذعة فى خفة وظرف بكل شىء فى هذا العالم ؟

هل من الحق أنه لم يتأثر بما أثار لبنيتس من خصومة عنيفة بين أنصار الخير والشر حين أعلن نظريته التى لا يمكن أن تصاغ فى أحسن من الصيغة الاسلامية المعروفة « ليس فى الامكان أبدع مما كان » ؟

ظهرت هذه النظرية فى القرن السابع عشر فاختصم حولها الفلاسفة فى هذا القرن نفسه وفى القرن الثامن عشر . ووضع ڤولتير قصة (كانديد) ساخراً من هذا المذهب ، هادماً له مقارناً بين الخير والشر ، مُصَوِّراً لما بينهما من الجهاد العنيف ، والصراع المنكر ، فى حياة الناس ووجود الأشياء ، وانتهى ڤولتير الى نتيجته المشهورة « ليعش كل منا بحديقته »

مؤثراً تسليم التُرك واذعانهم للقضاء، على فلسفة الفلاسفة ومحاولتهم فهم أسرارها. كتب ڤولتير قصته هذه ابان القرن الثامن عشر قبل أن يبدأ جوته فى كتابة فوست بوقت غير طويل وكان جوته مشغوفاً بڤولتير كثير القراءة له والنظر فيه كما كان الالمانيون جميعاً مشغوفين بالآداب الفرنسية فى ذلك العصر وكما انى لا أشك فى أن هناك شبهاً قوياً بين آلام ڤرتر وكثير من الآثار الادبية لجان جاك روسو فلست أشك فى أن هناك شبهاً قوياً بين فوست وبين كثير من الآثار الأدبية لڤلتير وربما كان من الحق الذى لا شك فيه أن جوته انما هو استمرار لسخرية ڤولتير ولكن ڤولتير كان يسخر فى ظرف وخفـة ورشاقة كما يسخر الفرنسيون بينما كان جوته يسخر فى مرارة وعنف وجد كما يستطيع أن يسخر الالمان؛ ولم يكن ڤولتير يبتغى شيئاً وراء الشك والسخرية وكان جوته يبتغى مثـلا أعلى وراء شكه وسخريته ولم يكن ڤولتير يتنـاول بسخريته شيئاً دون شىء ولم يكن يعفى الحياة المعاصرة له من السخرية وكذلك كان جوته؛ سخر من كل شىء وأذاق معاصريه مرارة لا تعدلها مرارة . . .

تلخيص فوست يسير فقد بدأ الشاعر بمحاكاة التوراة فى سفر أيوب فأنشأ حواراً بين الله والشيطان حول حب الانسان لله وقوته على الوفاء له؛ وانتهى هذا الحوار فى فوست برهان بين الله والشيطان موضوعه هذا العالم الجليل الدكتور فوست الذى أخلص حبه لله والعلم. يزعم الشيطان أنه قادر على اغوائه ويأبى الله عليـه ذلك ويُنْظِره فيندفع الشيطان الى الدكتور فوست فيصادفه فى ساعة سيئة من ساعات حياته قد سئم العلم

ويئس منـه ، وعجز الدين عن أن يسليه ويمنحه ما كان يطمح اليه من الوقوف على سر الحياة والاطمئنان اليه . فما يزال يحاوره حتى ينتهى به الى عهد بينهما . . .

يصبح الشيطان عبـداً لفوست يتيح له كل ما يريد من يسـير وعسير ويذيقـه كل ما يشتهى من لذات الحياة على اختلافهـا جليلها وحقيرها على أن يكون فوست فى آخر أمره ، اذا لم يعجز الشيطان عن ارضائه، عبداً للشيطان و يتم العهد بين هذين المتجاورين و يندفع الشيطان بصاحبه فى فنون من اللذات كثيرة منها الراقى ومنها المنحط وفيها آثام كثيرة وما يزال به حتى يغوى فتاة بريئة و يضطرها بهذا الاغواء الى أن تقتل أمها و ابنها وتسبب قتل أخيها ثم تضطر الى السجن ثم الى الموت كل ذلك فى ظروف كثيرة طويلة تتخللها أشياء أضيفت اليها اضافة وحشرت فيها حشراً ليس بينها و بينه صلة الا الجوار فاذا انتهيت الى آخر هذه القصة رأيت الشيطان قد أنفق ما يستطيع لارضاء فوست فوفق كثيراً ، ولـكنه على كل حال لم يظفر بنفس فوست لأن فوست مازال على كلفه باللذة وتهالـكه عليها مزدرياً لـكل ما ظفر به طامحاً إلى شىء آخر عجز الشيطان عن أن يوصله اليه وهو الذى يحاول أن يطلبه و يظفر به فى فوست الثانى . .

هذه خلاصة القصة وهى التى صيغت عليهـا القصص التمثيلية والغنائية ولـكن جوهرها ليس فى هذا الاطار الذى صورته لك الآن وانما هو فيما يحيط به هذا الاطار من دقائق الحوار بين الله والشيطان ثم بين فوست وتلميذه ثم بين فوست والشيطان ثم بين الشيطان والناس .

فى هذا الحوار كنوز من النقد والفلسفة والأدب لا سبيل إلى تقويمها ولا إلى تحليلها ولا إلى الاحاطة بهـا ولـكنها كفيلة بأن تعطيك من جوته صورة رجل عظيم قد عظم حتى كانت عظمته أشبه شىء بالتمرد ورق حتى كانت رقته أشبه شىء بدعة الملائكة . ومن غريب الأمر انك تجد جوته ممثلا أصدق تمثيل فى ضعف الدكتور فوست وقوته وفى ضعف مرجريت وقوتها كما انك تجده ممثلا أصدق تمثيل فى تمرد الشيطان وكبريائه وأى غرابة فى هـذا أليس جوته هو الذى ابتكر فوست ومرجريت والشيطان ؟

تجد فى هذه القصة صورة صادقة دقيقة لحياة العالم الأوربى قبيل الثورة الفرنسية وابانها أى فى عصر الانتقال الذى وثب بأوربا الوثبة الأخيرة من حياة القرون الوسطى إلى حياة العصر الحديث ويقال إن فوست الثانى يصور المثل الأعلى الذى يسمو اليـه الرجل الفيلسوف وكيف يسمو اليه وكيف يظفر به . وقد تعمدت أن آتى بلفظ الشك هذا لأن الذين فهموا فوست الثانى قليلون وقد أسأل نفسى أحيانًا هل فهمه جوته . . . ولعل أصدق حكم على هذه القصة التى أقدمها الآن إلى القراء حكم مدام دى استال عليها حين قالت :

« إن هـذه القصة تضطرك إلى أن تفكر فى كل شىء وإلى أن تفكر فى أمر آخر فوق كل شىء » .

« طه حسين »

فاوســـــت

المأســاة

فاتحـــة (١)

فى السماء

الرب ، جموع الملائكة ؛ و بعد قليل يظهر ابليس

يتقدم الملائكة الثلاثة المقرَّبون .

اسرافيل

الشمس تُغَنِّى (٢) كدأبها من الأزل ، مُنافسةَ فى النشيد أخواتها الأجرام .
وتدور دورتها التى رُسمت لها بخُطًى كالرعد القاصف .

ألا إن منظرَها ليبعث القوّة ويثير الهمة فى نفوس الملائكة ، وان لم يكن بينهم من يفهم كنهها ويدرك سرها .

---

(١) هذه الفاتحـــة فى السماء بمثابة مقدمة للـكتاب أراد المؤلف أن يبين فيها المحور الذى تدور حوله حوادث القصة ، وأن يضع أمام القارئ صورة لقوتى الخير والشر وتأثر الانسان بكل منهما . ولهذا ذكر ذلك الحوار بين الرب وابليس .

وقد اختار (غوتيه) أن يجعل هذه الفاتحة على نسق كتاب أيوب كما ورد فى التوراة حيث يبدو ابليس مع الملائكة أمام الرب . فيمتدح الرب أيوب بأنه عبد مخلص . فيزعم ابليس أن هذا الاخلاص لا يلبث أن يزول لو ان الرب ابتلى أيوب بفقد ماله وولده الخ . فعلى هذا النسق كتب غوتيه هذه الفاتحة.

ومع ذلك فقد تناول بعض الـكتاب هذا الفصل من « فاوست » بالنقد ، زاعمين أنه من السفه وقلة الاحترام للدين « والتجديف » بمكان . والحقيقة أن غوتيه كان أبعد الناس عن التجديف والاستهزاء بالدين ؛ وانما حمله على كتابة هذا المنظر فى هذا الشكل القصة التى بنى عليها كتابه والتى اقتبسها عن كتاب القرون الوسطى والتى منها تلك المراهنة بين الرب وابليس . وفى الكتاب أشياء أخرى خارقة للعادة سيراها القارىء.

(٢) اشارة الى ما يقال من أن للاجرام السماوية فى دورانها أصواتاً كالموسيقى . وقد ذكر شيء من هذا فى كتاب أيوب (اصحاح ٣٨) « ونجوم الصباح غنت معاً ».

إن هذه البدائع السامية ، التي يقصر عنها الادراك ، لم تزل ذات روعة و بهاء كما كانت في يومها الأوّل .

جبريل

وهذه الأرض ذاتُ الجمال الرّائع دائبة في الدوران بسرعة يقصر عن تصورها الوهم ... يتعاقب عليها النور الساطع والظلام الحالك الرهيب .

والبحر اللُّجى يرغى ويزبد ؛ ويندفع تيَّاره الى سفح الصخور .

والبر والبحر كلاهما يدوران دورة الكواكب الأبدية السريعة .

ميكائيل

والعواصف تتبارى في الدَّويّ والزئير ؛ مندفعة من البحر الى البر ، ومن البر الى البحر . وتُكوّن حول الأرض نِطَاقاً هائلا من القوة والصَّوْلة . والبروق المتقدة تكتسح وتدمر ما يعترضها في سبيلها . وعلى أثرها تدوي الرعود وتنقض الصواعق .

ومع هذا كله فان رُسُلك أيها المولى الجليل يمجدون يَوْمك الهادئ المطمئن ويقدسون هدوءه وصفاءه .

الثلاثة معاً

ان هذا المنظر ليبعث القوة ويثير الهمة في نفوس الملائكة وان قَصُرَت أفكارهم عن ادراك أسرارك الخفية .

وان ما أبدعته في العالم لم يزل ملؤه الروعة والبهاء كما كان في اليوم الأول

ابليس

أمَّا وقد تنازلت أيها المولى الجليل فدنوت منا مرةً أخرى ، وسألتنا عن حالنا ، وقد عودتني من قبل أنك تسر لرؤيتي . فلهذا تراني أنا أيضاً واقفاً وسط العبيد .

سامح يا مولاي واصفح ! فاني عاجز عن الأتيان بمثل تلك الكلمات الراقية ، وان جرّ على هذا العجز سخرية الجميع واستهزاءهم .

ولعمري لو أنني جاريتهم فأبديت شعوراً أو عاطفة لأضحكك صدور مثل

هذا منى ؛ لولا انك غادرت عادة الضحك .

أنا لا أعرف كيف أتحدث عن الشمس ولا عن الأجرام العلوية .

وانما أعرف بنى الانسان وكيف يعذب بعضهم بعضاً . إن ابْنَ آدم — اله الأرض الصغير — لم يزل على طوره القديم لم يتغير . وهو اليوم عجيبٌ غريبٌ كما كان فى اليوم الأول(١)

وان حاله قد تحسن وعيشه قد يطيب ؛ لولا أنك منحته ذلك الشعاع من النور السماوى ، الذى سماه العقل . واتخذ منه آلة يتوسل بهـا لأن يكون أكثر بهيميةً من البهائم ، وأكثرَ وحشيةً من الوحوش ،

وانى لَأُشَبِّهُ — لو يسمح لى مولاى — بتلك الجرادة الطويلة الساقين التى ماتنفك تطير واثبةً ،وتَثِبُ طائرة ، وتغنى أنشودتها القديمة البالية وسط الحشائش وياليته بقى دائما وسط الحشائش والأعشاب ، ولم يذهب الى كل بؤرة رجسٍ وقذرٍ فيدسّ بأنفه وسطها(٢) .

الرب

هل بقى شىء لم تقله ؟ مالك لاتجىء الا لتتَّهم ؛ أما ترى مدى الدهر فى الأرض شيئاً حسناً ؟

ابليس

كلا أيها المولى ! انى لا أرى هناك الا كل قبيح ، كما هى الحال منذ القِدَم .

وانى لأشفق على بنى الانسان حين أَرى حياتهم الملآى بالآلام ؛ حتى لقد رثيت أنا للمساكين فلا أريد أن أعذبهم .

الرب : أتعرف فاوست ؟

---

(١) يريد ابليس بتكرار عبارة « كما كان فى اليوم » شيئاً من التهكم مما قاله الملائكة قبلا

(٢) وجه الشـبه هنـا بين الانسان وتلك الجرادة أنه يريد التحليق والطيران فلا يستطيع فيكتفى بالوثوب بين الحشائش . ثم يلهيه انغماسه الأقذار عن التفكير فى الطيران .

ابليس : الدكتور ؟

الرب : خادمى .

ابليس : أجل . وانه ليسلك فى خدمتك طرقاً غريبة . ان ذلك الأبله قد بات لا يرى لنفسه فى الأرض قوتاً أو شراباً ؛ وذهبت به أحلامه وأوهامه الى مدى بعيد . واخاله مدركا سخفه وجنونه بعض الادراك . وتراه اليوم يتطلب زُهْرَ النجوم من السماء ويريد أن تخرج له الأرض أقصى ما يشتهى ويحب ؛ وبعد هذا كله فلا شىء فى العالم يشفى أوام نفسه الحائمة ، ويطفىء غليل صدره الهائج .

الرب

لئن كان يعبدنى اليوم وهو مشتت الفكر موزع الفؤاد ، فلسوف أهديه سبيل الرشاد بعد حين . والزارع يعلم حين يرى الشجرة قد أورقت أن سرعان ما تزدان غصونها بالأزهار والثمار .

ابليس

هل تراهننى على أن هذا العبد سأبق من طاعتك ؟

لا أطلب منك الا أن تأذن لى كى أجره برفق الى طريقى وسنتى .

الرب

لا أمنعك عن هذا مادام على قيد الحياة .

على أن المرء قد تزل به القدم اذ يجد فى السعى .

ابليس

لك الشكر على هذا والحمد . فأنا لا أحب الموتى ولم يكن لى فيهم يوماً ما أى مأرب . وأحبُّ الىّ تلك الوجوه الناضرة التى يتدفق منها ماء الحياة . أما رِمَم الموتى فلا أصلح لها ولا تصلح لى . وأنا فى هـذا أشبه الهرة التى تأنف أن تأكل الفأرة ميتة وتأبى الا أن تصيدها حية .

(١) يقصد غوتيه باليتبوع الأسمى الله . ولعل فى هذه الجملة وما يليها المحور الذى يدور عليه الكتاب .

الرب

لا ضير ! انى منحتك سؤلك وخليت بينك وبينه . حاول أن استطعت أن تحوّل تلك الروح عن ينبوعها الأسمى[١] واجذبها أن قدرت الى حضيضك ثم لتقف ذليلا صاغراً حين يضطرك فشلك وعجزك الى الاعتراف بأن الرجل الصالح — مهما أظلمت بصيرته — لا يلبث أن يهتدى الى السبيل الارشد والطريق الأقوم .

ابليس

حسن جدا ! ان هـذا الأمر لن يدوم طويلا . ولست أخشى أن أخسر الرهان . ومتى أدركت غايتى فأذن لى بأن أسر وأفتخر بما أحرزت من النصر .

ولسوف يأكل التراب بلذة وشهية كما تفعل الحيـة الشهيرة ؛ التى تجمعنى واياها أواصر القرابة[١] .

الرب

ان أدركت غايتك . فافعل ما تشاء .

اننى ما كرهت يوما ما من كان مثلك . ومن بين تلك الأرواح التى دأبها الانكار والكفران أرى أقلها ثقلا على نفسى ذلك المازح الساخر[٢] .

انى رأيت الانسان سرعان ما تخمد همته وتفتر عزيمته ويخلد الى الدعة والراحة ولهذا أرسلت وراءه قرينا يستفزه ويستثيره ، ولا ينفك يعمل ويدأب كعادة الشياطين .

(للملائكة) وأنتم أيها الابناء الحقيقيون للآلهة . انعموا ما شئتم بهذا الحسن الغزير والجمال الرائع الأبدى .

---

(١) تجمع ابليس والحية أواصر القرابة لانها هى التى ضللت حواء وآدم . وقوله انها تأكل التراب اشارة الى ما جاء فى سفر التكوين، الاصحاح الثالث (١٤) : « فقال الرب الاله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك » .

(٢) الارواح التى دأبها الانكار هى الشياطين ؛ وكان غوتيه يمثل ابليس بأنه الشيطان الذى يجمع الى الانكار والكفران (Verneinung) شيئا من المجون والفكاهة والسخرية .

ولتحطكم روح البركة والنماء ؛ التى ما تزال تخلق وتنتج ؛ بسياج بديع من الحب .

وأما هذه الظواهر الزائلة التى تبدو لكم فلتستنبطوا منها الحقائق الثابتة والافكار الخالدة [1] .

(تغلق السماء ويتفرق الملائكة ويبقى ابليس)

ابليس

يحلو لى أن أرى المولى القديم من حين الى حين . وسأبقى دائماً حذرا كى لا يحدث بيننا خصام .

ولعمرى انه لجميل جداً من سيد عظيم أن يتحدث الى الشيطان نفسه بمثل هذا الأسلوب البشرى .

(١) أى ان الظواهر كلها زائلة وانما الابدى الدائم هو الافكار الكامنة وراء تلك الظواهر

فاوست

الجزء الاول من المأساة

—١—

فى الليـــل

فاوست جالس على كرسيه أمام مكتبه قلقا فى غرفة ضيقة مرتفعة السقف

فاوست

أجهدت نفسى فى دراسة الفلسفة والشريعة والطب ؛ وتعمقت أيضاً — ويا للحسرة ! — فى دراسة علوم الدين [١] ، بجد لا يَعْتَوِرُه فتور وهمة لا تعرف الكلال . ثم أرانى — أنا البليد المسكين — بعد هذا كله لم أتقدم شبراً ولم أخط نحو العرفان خُطوة .

سُميت الأستاذ والدكتور ؛ وقضيت زهاء عشر سنوات وسط تلاميذى أخادعهم وأغَرِّرُ بهم وأذهب بهم ذات اليمين وذات الشمال . ثم أرانا بعد هذا كله لم نزل عاجزين عن أن ندرك أمراً أو أن نلم بشىء . . . لا ريب ان احترقت مهجتى أسى وكمداً على تعب ضائع وعناء لم يكن تحته مِنْ طائل .

لا أنكر أنى بت أكثر ذكاء من سائر الحمقى : كالدكاترة والأساتذة والفقهاء والقسّيسين . فلست ممن يملأ قلبه الوساوس والأوهام . ولا يزعجنى ذكر الجحيم والأبالسة والشياطين . . . بيد أن هذه المنزلة التى بلغتها هى التى جرت على الويل والشقاء وسلبتنى كلَّ سرور وصفاء . فأصبحت وما تعلمت شيئاً نافعاً ، ولا حصلت

(١) يتحسر فاوست على تعمقه فى دراسة علوم الدين (Theologie) لأن هذا سلبه راحة الايمان . وسيعود الى ذكر هذا فى نهاية المنظر .

علماً أفيد به تلاميذى وأصلح به بنى الانسان وأرشدهم به الى سبل الخير . . وقد صرت الى ما أنا فيه من الفاقة ، بحيث لا مال لى ولا نَشَب ؛ ولا جاهاً أحرزت ولا سعادة . . . ان هذا العيش لَمِما تعافه الكلاب لعمرى وتأباه ! —

لهذا قد انصرفْتُ الى ممارسة السحر ! لَعَلّى بمخاطبة الأرواح ؛ و بما لها من الصولة والقوة أحيط علماً بكثير من الأسرار ؛ وأصبح فى غِنىً عن اجهاد نفسى هذا الاجهاد المُرّ ، فى ذكر أمور أجهلها الجهل كله . . . فأغدو وقد أدركت أىَّ شىء خَفِىّ يمسك هذا العالم بعضه الى بعض ، وأبصرت جميع القوى المؤثرة ؛ والجراثيم المنتشرة ، بدلاً من أن أبقى هنا أتشدق بالألفاظ الجوفاء . وأهرف بما لا أعرف .

أيها البدر المنير ! ليت هذه آخر مرة ترانى فيها أعانى هذا الألم المُبَرِّح ! لقد طالما جلست الى هذا المكتب أرعاك فى منتصف لَيَالٍ عديدة ، ولكم أَنَرْتَ لى أيها الصديق الحزين صحائفى وكتبى !

آه ! ليتنى كنت فوق قِمَم الجبال، أمشى مستضيئاً بنورك المحبوب ؛ ثم أسبح مع الأرواح حول الكهوف والغيران ، طائراً وسط نورك اللطيف فوق المراعى والمروج ! فأطرح عنى ما أكسبتنى هذه العلوم من ألم وعذاب ، وأطهر نفسى بقطرات الندى المتساقطة من ضيائك !

ويلى ! ألا أزال حليف هذا السجن ، أسيراً فى غرفة رطبة لعينة لا يدخل اليها الا القليل من نور الشمس المحبوب . يحجبه عنها كل هذا الزجاج الملوّن . و يعلوها الى سقفها كُثْبان من الأسفار سُلِّطت عليها الأرضة . وقد امتلأت أرجاؤها بالأنابيب والزجاجات والصناديق ومختلف الآلات .

بل و بما خلفه الآباء والاجداد من أثاث عتيق حقير ! .

هذه هى دنياك التى تعيش وسطها ! فَتَباًّ لَهَا من دنيا !

و بعد هذا كلّه تتساءل لماذا يضيق صدرك وينقبض فؤادك ؟ ولماذا تحس دائماً ألماً خفياً مبهما قد نغص عليك العيش وسلبك لذة الحياة ؟ وكيف لا وأنت ثاوٍ وسط هذا الدخان والطين تحيط بك هذه العظام البالية ؛ بدلاً من أن تكون وسط الطبيعة الحية ، التى خلقها الله لينعم بها الانسان ؟

فالهرَبَ الهرَبَ من هذه البؤرة ولتنطلق فى فسيح الأرض ! وحسبك هذا الكتاب الثمين المتلئ بالأسرار الذى سطرته بنان (نصطر اداموس)[١] رفيقاً ودليلا يرشدك الى مسرى النجوم ودورة الفلك . ولئن تلقيت العلم عن الطبيعة نفسها فسرعان ما تفيض نفسك قوةً وهمة . وتدرك كيف تتخاطب الأرواح وتتحادث . . وهيهات أن تدرك فحوى هذه الرموز المقدسة[٢] ان قضيت حياتك هنا فى تفكير جاف عقيم .

أيتها الأرواح انك تسبحين حولى ! أجيبينى ان كنت تسمعين صوتى !

(يفتح الكتاب فيقع بصره على الطلسم المسمى بطلسم العالم)

أىُّ طَرب وأية نشوة تسريان فجأة فى جوارحى ومشاعرى حين أنظر الى هذا الرسم ؟ انى أحس الشباب والحياة . . . والسعادة القدسية تتقد وتلتهب فى لحمى ودمى .

أ كان رباً قادراً هذا الذى خط هذه الطلاسم التى سكّنت ما فى أعماق صدرى من الغيظ والغضب وملأت قلبى المنكود بالسرور . وبما لها من قوة خفية ، وتأثير غامض مبهم ، قد كشفت الغشاوة عن عينى فبت أشاهد قوى الطبيعة ماثلة أمامى .

هل أنا اله ؟ . . . .

---

(١) نصطر اداموس أو ميشل دى نوتردام Michel de Notre Dame من علماء الهيئة فى القرن السادس عشر وكان يعيش فى فرنسا . وله مؤلفات ظهرت فى أواسط ذلك القرن ملأها بالتنبؤات التى كان يعتقد صحتها الكثيرون من معاصريه .

(٢) الرموز المقدسة هى الطلاسم الموجودة فى كتاب نصطر اداموس المزعوم .

ان بصيرتى قد استنارت . انظر الى هذه الرسوم الجلية الواضحة فأرى بين يدىّ الطبيعة القادرة الفعالة ؛ أحسها بجسدى وروحى .

الآن تحققت صحة ما قاله ذلك الحكيم : « ان عالم الأرواح ليس بمغلق الأبواب . ولكن صدرك قد أُغلق ؛ وعقلك قد جمد . . فانهض أيها الطالب نشيطا فرحا ؛ واغسل هذا الصدر الأرضى بنور الفجر المشرق »

(يتأمل الطلسم)

عجبا كيف انتظمت هذه الأجزاء جميعها ؛ فكونت كُلاً منسقاً ؛ حياة كل جزء متممة لحياة الأجزاء الاخرى . ومرتبطة بها الارتباط كله . . . والرسل السماوية فى صعود ونزول دائمين . يناول بعضها بعضا أباريق الذهب ؛ سابحة فى الفضاء ، تنثر البركه ذات اليمين وذات الشمال . . . وتهبط من السماء الى الأرض فتجعل من سائر الكائنات منظومة منسقة منضدة [١] .

ما أجل هذا المنظر ! ! . . . لكنه — وا أسفاه ! — ليس الا منظراً ! وصورة تبدو لعينى ! فمن لى بأن أبلغ أسبابك أيتها الطبيعة التى لاحد لها ولا نهاية ؟ أين أنت أيتها الصدور ؟ . . . يا ينابيع الحياة التى تستقى منها السماء والارض ؛ التى يتلهف اليها كل صدر أحرقه الظمأ ! انك تفيضين وتروين . وأنا هنا أشتاقك ولا سبيل اليك .

(يقلب صحفات الكتاب وهو متهيج متأثر فيقع بصره على الطلسم المسمى روح الأرض)

شتان بين تأثير هذه الصورة فى نفسى وتأثير الأولى !

أَىْ روحَ الأرض ! انك أقرب الى وأدنى منى رَحِماً . هأنذا أشعر بأن قُوَاى قد ازدادت ؛ وجسمى سرت فيه الحمية . وأحس من البسالة والاقدام ما يدفع بى الى خوض غمار الكون ؛ فأنزل بالعالم الويل والثبور ؛ أو أحمل اليه السعادة

---

(١) هذه صورة العالم الكبير (ما كروكوزموس) كما كان يصورها بعض الكتاب . وا كثر الشراح يرى أننا يجب ألا ننظر اليها بأنها صورة كاملة أو أنها تمثل معتقد غوتيه نفسه وانما تمثل ما يخطر لرجل كفاوست فى حاله النفسية هذه .

والنعيم . . . ومن القدرة والبأس ما أكافح به العواصف ، وأقتحم الأمواج وهى ترغى وتزبد ؛ وتحطم السفن ، وتهلك الرَّكْب؛ دون أن أعرف للتردد والاحجام معنى .

أرى الضباب يتكاثف من حولى . . . كاد نور القمر أن يختفى . . . وهذا المصباح قد خبا نوره . . . ما لهذا البخار يتصاعد! وهذه الأشعة الحمراء قد أحاطت برأسى ! . . كأن الرعب قد ملأ فضاء هذه الفرقة ثم انقض فاستحوذ علىّ ! انى أشعر بك تسبح من حولى أيها الروح الذى ناجيته ! والآن فا كشف عنك الحجُب وابْدُ لعينى . . انى أحس صدرى يتمزق ! وجميع جوارحى قد ثارت ، متشوقة الى شعور جديد واحساسات لا عهد لى بمثلها ! . . .

انى أشعر بأن قلبى منجذب بأسره اليك . . . أيها الروح ! لابد لى أن أراك ولو كان فى ذلك هلاكى .

(يمسك بالكتاب ويقرأ عزيمة الروح بشكل مبهم؛ فيندلع لهيب أحمر ويبدو روح الأرض(١) فى وسطه)

الروح

من ينادينى ؟

فاوست

(مشيحا بوجهه) منظر ترتعد له الفرائص !

الروح

انك دعوتنى بقوة؛ وجذبتنى ببأس وعزم؛ وقد أطلت الامتصاص والارتضاع من مناهلى . والآن !

فاوست

ويلى ! لا أطيق رؤيتك !

---

(١) نصح غوتيه لأحدى فرق التمثيل التى أرادت تمثيل «فاوست» أن يكون ظهور روح الأرض على شكل وجه هائل بحيث يملأ جميع فراغ المسرح

الروح

عجبا لك ! تتلهف وتتشوق للقائى وسماع صوتى ورؤية وجهى . . . وقد جذبنى الى هنـا نداء منبعث من روحك ملؤه القوة والبأس . فأتيت وهأنذا أمامك . . . أى رعب هائل قد استحوذ عليك يا من يزعم أنه فوق البشر . أين ذهب نداء تلك الروح ؟ اين ذلك الصدر الذى استطاع أن يخلق بين جوانحه عالماً يعتز به ويزْهى ؟ ذلك الصدر الذى كان يهتز سروراً وطربا و ينتفخ بكبرياء طمعاً فى محا كاتنا معشر الأرواح !

اين فاوست هذا الذى رن صدى صوته فى أذنى واندفع نحوى بكل ما أوتى من قوة؟ أهو أنت الذى لم يكد يلامسه نفَسى المتصاعد حتى اخذت فرائصه تضطرب و بات كالدودة المنكمشة فرقا ورعبا ؟

فاوست

أو أجبن أمامك أيتها الصورة من اللهب ؟
أجل انا هو ! أنا فاوست ؛ أنا نظيرك ومثيلك .

الروح

فى تيار الحياة المتدفق ؛ وفى وسط عواصف العمل والسعى ؛
أنا أبداً أطفوا هنا وهناك ؛ وأسبح ذات اليمين الشمال .
مولد وممات !
بحر خِضَمٌّ أبَدِىّ !
نسيج دائم التغير والتبدل .
حياة دائمة التوقد والالتهاب .
هكذا أشتغل بجد و بأس ؛ على منوال الدهر الهائل ،
لكى أنسج بيدى الثوب الحى للالوهية (١)

---

(١) ليس بواضح تماماً ما عناه غوتيه بروح الأرض . والدور الذى يلعبه فى العالم . وأنما

فاوست

أيها الروح الجمة مشاغله ؛ الدائب السعي في أنحاء العالم ، انى لأشعر أنى قريب منك ؛ شديد الشبه بك .

الروح : انك تشبه ذلك الروح الذى يدركه فكرك ؛ اما أنا فشتان بينى و بينك

(يختفى)

فاوست : (وقد صعق)

لست شبيها بك ؛ اذن فشبيه بمن ؟

أنا الذى برئت على صورته الاله ، الا أشبهك أنت ؟

(يطرق الباب)

أواه ! أعرف هذا الطارق . . . انه تلميذى . . .

الآن يجيء هذا الجلف الجاف فينغص على مناجاتى للارواح ؛ و يقضى على أبهى ساعات عمرى وأسعدها

(يدخل واغنر بلباس النوم وفى يده مصباح فيلتفت اليه فاوست مغضبا)

واغنر

عفوا ومعذرة ! سمعتك تنشد شيئاً بفصاحة و بيان ؛ فما شككت فى أنك تطالع مأساة اغريقية . و بودى أن أحصل القليل من هذا الفن ، فله زماننا هذا شأن جليل . وكثيرا ما سمعت النـاس يقولون انه خليق بالقسيس أن يتعلم فصاحة الالقاء واجادة الانشاد من الممثلين .

فاوست

أجل ! خصوصا ان كان القسيس نفسه ممثلا ماهرا كما هى الحال فى بعض الأحايين .

واغنر

اذا كان مقضيا على طالب العلم أن يلتزم قاعة درسه وألا يرى العالم حتى

تذكر أن غوتيه كان حلوليا . ولعله يقصد بالثوب الحى للالوهية . جميع الكائنات التى هى بمثابة الثوب تحل فيه الألوهية وتتجلى

فى يوم عيد ، اللهم الا على بعد عظيم . ترى كيف يتاح لمثله اذن أن يعظ الناس ويهديهم ؟

فاوست

لن تدرك هذه الغاية ما لم تكن الهداية قد ملأت قلبك، ففاضت بها روحك، فملكت قلوب سامعيك واستحوذت على مشاعرهم وكان لها عليهم سلطان لا يقاوم .

انك تجلس وكل همك أن تلتقط الأجزاء المتناثرة فتلصق بعضها الى بعض وتصنع طعاما من بقايا موائد الآخرين . ولا تزال تنفخ فى الرماد المتراكم حتى توقد ناراً ضئيلة . . . مثل هذا الشىء قد يستثير اعجاب القردة والصبيان ، ان كان هذا ما تتوق اليه نفسك ، ولكن هيهات أن تستطيع تحريك القلوب واثارة الوجدان ما لم تستمد القوة من قلبك ووجدانك .

واغنر

على أن حسن الالقاء هو سر نجاح الخطيب : . . هذا أمر أحسه جيداً وان كان بعيداً عنى البعد كله .

فاوست

أسلك بنفسك السبيل القويم ؛ ولا تك مثل مضحكى القصور : كثيرة ضوضاؤهم ؛ خاوية عقولهم . وأخلق بالمرء اذا أوتى عقلا وفطنة أن يبلغ ما يشتهى ؛ من غير حاجة الى التعمل والتكلف . . . ولعمرى لئن كان لديك أمر خطير تريد أن تقوله ففيم السعى وراء الألفاظ والعبارات ؟ ان خطبكم الرنانة الخلابة التى تقدمون فيها للعالم سخافات مزوقة منمقة هى أشبه شىء بريح الخريف الباردة يدوى صداها فى أوراق الشجر الجافة المتناثرة ، دون أن يكون فيها ما يثير الهمة أو يوقد الحمية فى النفوس .

واغنر

أى رباه ! ما أطول العلم ؛ وما أقصر العمر ! لطالما ملأت رأسى وصدرى

المخاوف على تلك الأبحاث العلمية التي أكابد في تحصيلها كل عنـاء ، خشية أن توافي المرء منيته قبل أن يبلغ من العلم مأربه . . . . ما كفى المرء أن يعاني الشدائد الجمة في احراز تلك الوسائل[١] التي لا بد منها للوصول الى الينبوع الأسنى . فلا يكاد يبلغ منتصف الطريق حتى يقضي المسكين نحبه .

فاوست

وهل تحسب الصحائف والأوراق هي الينبوع الأقدس الذي تكفي شربة منه لاطفاء الظمأ مدى الدهر ؟ ان غليلك لن يشفى ، وظمأك لن يروى ، ما لم يفض الينبوع من صدرك ، ويتفجر من أعماق نفسك .

واغنر

عفواً أيها الأستاذ ! انها لسعادة كبرى أن نقرأ كتب المتقدمين ونشاهد روح الأعصر الخالية ماثلة لاعيننا . فنطالع الآراء التي أدلى بها الحكماء في مختلف الازمنة . ثم كيف ارتقينا نحن بعد ذلك الى أسمى المراتب .

فاوست : أجل لعمري ! لقد ارتقيتم حتى بلغتم السماء ! . . .

إن الأعصر الخالية أيها الصديق كتاب مغلق عليه سبعة خواتم . وما تسميه أنت روح العصور السالفة ليس لعمرك سوى روحك أنت انطبعت فيهـا صورةٌ لتلك العصور . . . صورة مشوهة محزنة ؛ تألم العين من مجرد مرآها . لأنها ليست ويا للاسف سوى حثالة قذرة أو سقط متاع لا غناء فيه .

وان أقصى ما تبلغونه من تصوير الأعصر القديمة ، أن تأتونا بقصة خرافية ، ملأى بالحكم الجوفاء التي تصلح لأن يرددها الاطفال أو ترددها اللعب الخشبية التي يُلعب بها في الأسواق[٢] .

---

(١) يريد بالوسائل الكتب والأسفار التي لابد من مطالعتها قبل الوصول الى مرتبة سامية في العلم وهنا يبدأ حوار بين الأستاذ وتلميذه عن أهمية الكتب وقيمتها .

(٢) في القرن السابع عشر شاعت في اوروبا عادة تمثيل قطع مسرحية بواسطة لعب خشبية . تجعل كأنها تمثل حادثاً سياسياً خطيراً وتتفوه بألفاظ وحكم وخطب جوفاء

واغنر

لكن هنالك مسائل هامة : كالعالم وقلب الانسان وروحه . . أشياء يود كل امرئ لو أدرك كنهها بعض الادراك .

فاوست

أي ما تسمونه أنتم ادراكا ! !

ومن ذا الذي يجرؤ أن يسمى كل شيء باسمه الصحيح ؟ ان القليلين الذين وُفقوا لفهم أسرار الكون و بلغت بهم البلاهة أن أباحوا بمكنونات صدورهم للعامة والغوغاء ؛ كان جزاؤهم أن قتلوا أو صلبوا أو أحرقوا .

والآن أيها الصديق لقد مضى من الليل شطر كبير . و يجب أن نفترق

واغنر

كان بودى أن أبقى ساهراً أحادثك هذا الحديث الممتلئ علماً وحكمة . وعلى كل حال فغداً أول أيام عيد الفصح . ولعلك تأذن لى من حين لآخر أن أسألك ما ليس لى به علم . . لقد أكببت على الدرس والتحصيل بجد وعزم . ولئن كنت قد علمت الشيء الكثير ؛ فبودى لو أحطت بكل شيء علماً . « يخرج »

فاوست (وحده)

يا عجباً لهذا المخلوق ! كيف لا تدركه السآمة ولا يصل الى قلبه القنوط ! أبداً يجد وراء كل ما هو رث بال فيتشبث بأهدابه ، ولا يزال يحفر فى الصخر باحثاً عن الكنوز المدفونة . فان لقى بعد الكد والعناء دودة حقيرة عدها فوزاً وغنيمة . أ كان يليق أن مثل هذا الصوت الآدمى يرن فى أرجاء هذه الغرفة التى تملؤها الارواح ؟

لكنى فى هذه المرة أشكرك وان كنتَ أحقر من دبَّ على أديم الثرى . فقد انتشلتنى من وهدة اليأس الاليم الذى كاد أن يذهب بلبى وحسى . ان هذا المشهد الهائل الذى شهدته قد تضاءلت أمامه نفسى و بت لا أرانى بجانبه سوى قزَم حقير .

أنا الذى برئت على صورة الله . . وغدوت أحسب نفسى قد ارتقيتُ حتى اقتربت من مرآة الحقيقة الابدية . و بت أنعم وأمرح فى ضيـاء السموات اللامع وصفائها الخالص . ولم أعد أحسب نفسى بشر ياً سليل الطين . بل أصبحت أرانى ملَكا بل أسمى من الملك . قادراً — بمحض قوتى وصولتى — على أن أسرى فى عروق الطبيعة سريان الدم . وأتمتع بحياة الآلهة بما لى من قدرة على الخلق والابداع .

هكذا أسأت تقدير نفسى وهكذا حلَّق بى الغرور ، والآن وقد زالت سكرتى فأى حسرة تعرونى وأى كمد يحرق فؤادى ! كلمة فاه بهـا ذلك الروح الهائل قد هوت بى الى الحضيض ؛ كأنما انقضت على الصواعق .

* * *

أجل ! ليس لى أن أقيس نفسى بك أيها الروح أو أن أدنوَ من مقامك . . .

أيها الروح الجليل ! مالى قدرت على مناداتك وعجزت عن استبقائك !

تلك اللحظة القدسية التى شاهدتك فيها أحسست نفسى حقيراً بمقارنتى بك ، عظيما باقترابى منك . . . لقـد دفعتَنى عنك بغلظة وقسوة فهويت الى الحضيض ، حيث أشاطر بنى الانسان عيشهم الأنكد ، ومصيرهم الغامضَ المُبْهَم .

أين لى من يرشدنى ويهدينى ؟ وأنّى لى أن أعرف ما آتى وما أتجنب ؟ وهل نافعى أن أطيع ذلك الدافع وأجيب ذلك النداء ؟ (١)

ياويلاه ! ان المصائب والـكوارث ليست وحدها العائق الذى يعترضنا فى الحياة ، بل ان أعمالنا وجهودنا نفسها كثيرا ما تكون حربا علينا .

إنَّ المُثُل العليا التى تتصورها النفس سرعان ما يذهب بحسنها ما يغشاها من العناصر الغريبة .

ولقد يتاح لنا فى الحياة أن نصل الى ما هو حسن فنرضى بما بلغنا ونحسب

---

(١) اشارة الى ممارسة السحر

السعى وراء ما هو أحسن وهماً باطلا وتعباً ضائعاً [١]

ان أسمى العواطف وأرق المشاعر التى ترفع النفس وتعليها لا تلبث وسط عواصف الدهر المهلكة حتى تذوى وتذبل .

لقد كنت فيما مضى يسبح بى الخيال وتحلق طير آمالى فى سماء الأبدية ؛ والآن أصبحت أجتزئ من ذلك كله بمكان صغير ، بعد أن تحطمت سعادتى المرة بعد المرة ، ما بين الأعاصير المدمرة ، والزوابع المهلكة .

لقد ثوى الهمّ فى أعماق القلب وهو هنالك دائب يخلق للمرء آلامه الخفية . . ولا يقر له قرار حتى يذهب بالسرور ويقضى على الراحة متذرعاً الى ذلك بكل وسيلة وسالكا لذلك كل سبيل . . . فتارة يجعل من دورنا ومنازلنا ، ومن زوجنا وولدنا مثاراً لاحزاننا ؛ وطوراً يثير آلامنا من خشية النار المتقدة أو السيل الجارف أو الخنجر المرهف أو السم الزعاف . . . واننا لنرتعد فرقاً من ضربات لن تقع علينا . ونبكى حسرة على شىء لن يضيع منا أبداً .

انا لا أشبه الآلهة ! أعلم هذا الآن علم اليقين . انما أشبه الدودة الحقيرة التى تزحف وسط التراب وتغتذى من التراب ، حتى اذا داستها قدم عابر السبيل أوردتها حتفها وقبرتها فى الثرى . فى التراب محياها ، وفى التراب مثواها .

ولعمرى أليس تراباً ما على هذه الرفاف العديدة من الاسفار التى ضاقت بها الغرفة وضاق بها صدرى . وليست سوى سقط متاع ومجموع سخافات لا طائل تحتها . . عالم تمرح فيه العثاث وتضجر منه النفوس .

أهنا أبحث عن طلبتى وأنشد ما يعوزنى ؟ وماذا يجدينى أن أقرأ فى آلاف الكتب أن بنى الانسان ما برحوا فى شقاء دائم فى كل زمان ومكان . وانه قد وجد فى العالم من آن لآن رجل سعيد ؟

---

(١) أى أن الحسن عدو الأحسن : فالمرء قد يستحسن شيئا كالمال مثلا . فينصرف اليه فيلهيه ذلك عن التفكير فيما هو أحسن .

وأنت أيتها الجمجمة ! ما لك فاغرة فاك كأنما تضحكين منى ؟ وهل تضحكين الا لأن مخك مثل مخى قد دفعته الحيرة الى البحث وراء النور . فألقى نفسه فى ظلام حالك ، وجدَّ فى طلب الحقيقة ثم باء بالخسران والضلال . . . وأنت أيتها الآلات العديدة . انك تسخرين منى ولا ريب ! ما أكثر ما فيك من عجلات ودوائر وشكول منوعة غريبة . وكان أجدر بك ، وقد وقفت لدى الباب الموصد ، ان تكونى مفتاحا أستعين به على تَبَيّنِ ما وراء تلك الأبواب . لكنك عاجزة حتى عن فتح قفل واحد ، برغم ما بك من دقة فى الصنع والتركيب . . . فيا للحسرة ! ان الطبيعة ما برحت غامضة مظلمة حتى فى رابعة النهار ! على وجهها نقابٌ كثيف لا تسمح للايدى أن تلمسه . وهى اذا أبت أن تجود بشىء من دفائن سرها ، فهيهات أن تسلبها اياه قسرا أو تأخذه عَنْوة .

وأنت أيتها الأمتعة التى لم تكن لى يوماً حاجةٌ اليها . ما أنت هنا الاَّ لأن أبى كان يستخدمك ، وينتفع بك . وكان أخلق بى أن أبدِّد هذا التراث القليل تبديداً ، بدلاً من تركه هنا ليكون حرجا فى صدرى ، وقذًى فى عينى . وما خير إرث خلَّفه الآباء والوارث فى غنى عنه !

* * *

أرى بصرى لا يتحولُ عن تلك الناحية ! فهل لهذه الزجاجة الصغيرة قوة تجذب بها العيون ؟ ولماذا أضاء فكرى واستنار فجأة كأنما طلع على البدر وأنا وسط غابة مظلمة فى ليلة حالكة ؟

أحييك أيتها القارورة المنقطعة النظير ! وأتناولك بكل حرمة واجلال . وأمجدُ فيك ذكاء الانسان وعلمه . لقد ثوى فى باطنك عصير الرقاد . . . رقاد الفرح والصفاء . . . أنت خلاصة العناصر المرْقدة ، قد تجمعت فيك قوى الموت الزؤام . لقد آن لك أن تسدى الى مولاك[١] يداً وتوليه جميلا .

---

(١) أى فاوست نفسه . الذى صنع ذلك السم بيديه ويفكر الآن فى الانتحار كوسيلة لنيل مآربه المبهمة .

أنظر اليك فتخف آلامي . . . وألمسك بيدى فيقل عنائى ونَصبى . . . ان تيّار الحياة المتدفق قد أخذ ماؤه يغيض . . . وكأنما يُلقى بى فى بَحْرٍ علوى . . . وكأنى أبصر صفحته اللجينية تلمع تحت قدمى ! . . . لقد طلع فجر يوم جديد ، يجذبنى الى ساحل عالم جديد .

لكأنى أرى مركبة تحلق بأجنحتها فى الفضاء مُيَممة نحوى . وأحس الآن كأنما أسلك سبيلا جديدة الى حيث اخترق الأثير ، الى عوالم وأجرام ملؤها الجد والنشاط ، الى تلك الحياة العلوية والسعادة القدسية . . . فيا ليت شعرى هل يتسنى لك وما زلت دودة حقيرة أن تبلغ ذلك الشأو البعيد ؟

أجل . . . لم يبق الا أن تولى شمس هذا العالم ظهرك بعزم ثابت ! لتكُنْ لَدَيْكَ الجرأة على تحطيم تلك الأبواب التى يفرَقُ من منظرها الجبناء . ويجزعون من اقتحامها . . . لقد آن لك أن تثبت بالفعل — لا بالقول — ان كرامة الانسان لن تجبن عن التطلع الى مقام الآلهة . وانك لن ترتعد فرقا أمام ذلك الغار المظلم الذى يتصوره الوهم ممتلئا بالويل والعذاب . . لتقتحم الطريق الذى يوصلك اليه ولو اعترضتك نيران الجحيم المتسعره . أنها لخطوة هائلة وأخْلِق بك أن تخطوها بقلب طروب ، وعزم لا ينثنى . أجل ولو لم يكن من ورائها سوى العدم والفناء .

فتعال الآن أيها القدح البلورى اللامع ! لقد طال ثَواؤك فى صندوقك العتيق . مرت السنون دون أن تخطر لى ببال . وكنت من قبل كثيرا ما تزين موائد الأجداد . تتناولك أنامل الشاربين فتحمل السرور والبشر الى القلوب الحزينة والوجوه العابسة . انى أسرح الطرف فيما عليك من النقوش والصور ، فأذكر الشَّرْبَ حين كانوا يحاولون وصفها بالأوزان والقوافى . ثم يحتسون ما بك من الشراب جرعة واحدة ان هذا يثير ذكرى شبابى وليالى صباى . . أما الليلة فانى لن أناولك أيها القدح الى سواى . ولن أحاول وصف ما عليك من الصور الجميلة . وسأملؤك بهذا العصير الاقتم اللون ، الذى سرعان ما يسكر منه المرء . شراب اعددته بيدى .

واخترته وانتقيته ، فلا أعدل به الليلة بديلا . وهأنذا أتناول منه جرعتي الأخيرة بقلب هادىء ونفس مطمئنة .

ولتكن هذه الشربة تحية للصباح الذي أو شكت شمسه أن تشرق،

(يرفع الكأس الى ثغره ثم يتوقف اذ يسمع دق النواقيس وأناشيد العيد)

غناء الملائكة :

قام المسيح من الثرى
ورقا الى أوج السماء
طوبى لهم فليهنأوا
وليطمئن بنوا الفناء
مَن كاد أن يودى بهم
ما وُرِّثوه من الشقاء
ومن الخطايا المهلكات
ودائها الداء العيَاء

فاوست :

أي شيء هذا الصوت الشجي وتلك النغمات الرنانه التي انتزعت الكأس من فمي بقُوَّةٍ لا تقهر ؟ أترن هذه النواقيس ايذانا بحلول عيد الفصح ؟ وهل قامت تلك الجماعات لتغني هذه الأناشيد التي تحمل الى القلب السلوان والسرور . والتي تغَنَّتْ بها الملائكة من قبل لدى قبرٍ جليل[1] في جنح ليل بهيم . فكانت ايذانا بعهد جديد .

---

(١) يقصد بالقبر قبر المسيح عليه السلام وعيد الفصح كما هو معلوم عيد للنصارى يحتفلون فيه بذكرى قيام السيد المسيح من قبره — بعد استشهاده — ثم صعوده الى السماء . وفي بعض الكنائس كانت تنشد الأناشيد على لسان الملائكة والنساء والحواريين . ويجب أن نتصور أن فاوست كان يسمع ترتيل هذه الاغاني في كنيسة غير بعيدة .

نشيد النساء :

نحن كَفَّنَّاه فى هذا الحرير
وغسلنـاه بمسك وعبـير
وأنمناه على هـذا السرير !
ثم بتنا لا نراه بيننـا !   أنت يا ربِّ قوىٌ وقدير !

نشيد الملائكة :

بُعِثَ المسيحُ من الثرى
فلْيَنَم القلب الحزين !
طوبى لمن عانى البـلاء
وقرّحت منـه الجفون
حتى انجلَت عنه الـكروب ؛
وأى خطب لا يهون .

فاوست :

ماذا تبغين أيتها النغمات السماوية ؛ التى جمعت بين الرقة والبأس ، ماذا تبغين منى أنا حليف التراب ؟ . . . أولى لك أن يسمعك أناس لهم قلوب ترقُّ وأفئـدة تلين . أما أنا فقد طالما سمعت الرسالة ووعتها أذناى ، ولـكن يعوزنى التصديق . . . ان تلك المعجزات الرائعة هى وليدة الايمان الراسخ(١) . وهى أعز بناته عليه . . .

أرانى الآن قد هدأ ثائرى ولم أعد قادراً على التطلع الى تلك الاقطار العلوية

---

(١) يقول فاوست : ان المعجزة بنت الايمان : أى انه متى كان الايمان راسخا فى قلب سهل عليه تصور المعجزات والتسليم بها . . . والمعجزة التى يشير اليها هى بالطبع قيام المسيح من قبره والأصل أن يقال أن الايمان بن المعجزة : أى أن المرء يؤمن بعد أن يراها ولـكن فاوست عكس المعنى

التى يرن فيهـا صدى تلك الانباء السارة . . . ان هذه الأناشيد التى ألفتها من الصبى قدردتنى الى الحياة ودفعت بى الى هذا العالم . . .

أنى لأذكر أيامى الخاليـة حين كنت أجلس ليالىَ الآحاد فى هدوء وخشوع كأنما كانت تنصب على من السماء قبلات الحب العلوى . . وكنت أجد فى دقات النواقيس نغمات ذات معنى دقيق ، وفى تلاوة الصلوات لذة تفوق كل لذة

وكثيرا ما كان يجيش بالنفس شوق لا أعرف له كنها يدفع بى الى المروج والغابات وهنالك كنت أصعد الزفرات وأسكب العبرات . حاسبا نفسى فى عالم جليل ليس لغيرى به عهد . والآن أصغى الى هذه الاناشيد العذبة فتثور فى نفسى ذكرى الشباب وكيف كنا نقضى عيـد الربيع (١) فى لعب ومرح وصفاء لا يشوبه تكدير.

وهذه الذكرى تبعث فى قلبى حنينا الى عهد الطفولة والصبى . فيحول هذا بينى و بين تلك الخطوة الجدية التى كدت أخطوها . . .

فأطربى روحى أيتها الاصوات الشجية ؛ واملئى مسامعى بنغماتك العذبة ! لقد أخذ الدمع ينهمل ؛ وأرانى قد رجعت الى هذا العالم .

نشيد الحواريين

قَدْ سمَا الموْلى الى أَوْجِ السماء !
وارتَقَى نَحْوَ العُلا أىّ ارتقاء !
و بَقينـا نَحنُ فى دار الفنـاء !
نحن أنصارك نبكى فرحاً   لِعُلاء نِلْتَهَا أَىَّ عُلاء

(١) أى عيد الفصح . لانه يكون دائما فى أول الربيع

الملائكة

صَعَدَ المَسيحُ الى العلا
مِنْ بَعْدِ مَا سَكَنَ الثّرى
طُوبى لكم قد آن لا
أَغْلالِ أن تتكسرا !
سيروا وَجِدُّوا رافعين
لِوَاه فى أَعلا الذُّرا !
ولْتَنْشُروا عَلَمَ الاخوّة
والمحبـة فى الورى !
يكن الرئيس لكم ظهيراً
مُنْجِداً ومُؤَزِّراً !

(٢)

امام باب المدينة (١)

الناس من سائر الطبقات يغدون و يروحون

جماعة من العمال

وما يدعونا للذهاب الى هناك ؟

جماعة أخرى

لنذهب كلنا الى حانة « الصياد » !

الجماعة الأولى

أما نحن فيممون حانة « الطاحون »

عامل

وما رأيكم ان ذهبنا الى حانة « النّهر »

عامل ثان

أرى أن الطريق اليها لا يلائمنا .

عامل ثالث

وأنت ما تصنع الآن ؟

عامل رابع

سأحذو حذو الجميع .

عامل خامس

اذن أنصح لكم أن تذهبوا بنا الى تلكم القرية . فهنالك نجد أطيب الصهباء

---

(١) بعض الاوصاف المذكورة هنا منطبق تماما على مدينة (فرانكفورت) حيث ولد غوتيه و نشأ

ونغازل أجمل الفتيات . ومن أراد المشاكلة والمنازلة . فهنالك الضراب والقتال من أحسن طراز

عامل آخر

يا لك من غرٍ أحمق لا يبرح مولعاً بالقتال والعراك . أما أنا فلا قرب الله بينى وبين ذلك المكان

خادمة

كلا ! لا بد لى أن أرجع الى المدينة

خامة ثانية

يا بلهاء ! انا من غير شك سنجده هناك تحت أشجار الحور .

الأولى

وماذا أستفيد من تلاقيكما ؟ انه سيأخذ بذراعك ويسير الى جنبك ويرقص واياك . فأى فائدة تعود على من سرورك بصديقك

الثانية

أنا واثقة أنه اليوم لا يأتى وحده . وسيكون معه بلا ريب زميله ذو الشعر المجعَّد

تلميذ (لصاحبه)

انظر ويحك الى هاتين الفتاتين ؛ كيف تجدَّان فى السير ! أسرعْ ولنلحقْ بهما . ولا تذهب هذه الفرصة من يدنا ! . . . أحبُّ شيء فى العالم الىَّ الجعَةُ المُرَّة ، والتبغُ الحامى ، والغادة الحسناء عليها الحَلْيُ والحُلَل .

فتاة من بنات المدينة (لصاحبتها)

أنظرىْ أين يذهب هذان الفتيان المليحان ! أليس من العار ان يتركا كرائم الفتيات ، ويجْرِيا خلف هاتين الخادمتين .

تلميذ ثان (للأول)

ويلك لا تسرع ! وانظر وراءك ترَ هاتين الحوريتين ، عليهما أجمل ثياب

ورينة . ان احداهما جارةٌ لنـا ، وقلبي فى هواها مُدَلَّهٌ متيَّم . فهلُمَّ بنا اليهما ! انهما تسيران الهوينى فى حشمة وكمال ودلال . لكنهما رغم هذا ستسمحان لنا أن نصاحبهما .

التلميذ الأول

لا يا أخي ! أنا لا أحبُّ من يَتَجَنَّى عليَّ ويتدلل . فاترك هاتين ؛ وأسرع بنا قبل أن يفلت الصيد من يدنا . ولاتحتقرالخادمات ، فان اليد التي تمسك المكنسة فى يوم السبت هى أكثر الأيدى صَلَاحاً للتقبيل فى يوم الأحد .

رجل من أعيان المدينة

لا ! لست راضياً عن العمدة الجديد ، الذى ما ازداد فى مَنْصِبه الحديث الا عُتُوًّا وتكبرا . . وماذا جنت المدينة على يديه،وهذه حالها تسوء يوما بعد يوم ؛ ناهيكم بكثرة الضرائب والاستبداد بالناس .

سائل (مُغَنِّياً)

حُيِيتُم من سادةٍ أكابرِ
وسيدات ذات حسن باهر !
عليكم أبهى الحُلِيِّ والحُلَلْ ،
وفى محيـا كم أرى نُورَ الأمل !
هلا نظرتم لى بعين الشفقه
فهزكم فقرى لبذل صدقه !
لا تتركونى عبثـاً أغنى !
يا حبـذا الغَنِيُّ حين يُغْنى !
من يبذل المـال يعش سعيداً
مُمَتَّعاً مُسَوَّداً مجيـدا
وافاكمُ العيد السعيد ! فانعَمُوا ؛
وأَنْعِمُوا كى يستفيدَ المُعْدمُ .

رجل ثان من الأعيان

أحبُ شيء الى فى أيام الآحاد والأعيـاد أن أتحدث عن الحرب الدائرة فى بلاد الترك ؛ بعيداً عن ديارنا وأوطاننا . هنالك تزهق النفوس وتتطاير الرءوس ؛ وهنـا أجلس مُطِلا من نافذة الحانة ؛ فأحتسى قدحاً من الصهباء وأرى الزوارق تغدو فى النهروتروح . ثم أعود الىدارى فى المساء فأرىالسلم ضاربا أطنابه والسكون يشمل كل شىء . فأحمد الله على أن متعنا بالسلام ؛ ووقانا غائلة الحروب .

ثالث من أهل المدينة

صدقت أيها الجار ، وهذا هو رأيى الذى أراه . دع العـالم يناطح ويكافح ؛ ويتضارب ويتحارب ، وينقلب رأساً على عقب ، ما دامت أحوالنا المنزلية تجرى فى مجراها القديم.

عجوز ساحرة

ياما أحيلى هاتين الغزالتين ، وعليهما أحسن الحلى والحلل ! أى قلب لا يتقيد فى سلاسل هذا الحسن . . . رويداً كلّ هذا الكبر والخيلاء . فأنا أعلم ما تريدان وما تَنْشدان . وسوف أبْلِغـكما قصدكما وأهديكما السبيل .

الفتاة الأولى (لصاحبتها)

يا أغاثا ! تعالى أسرعى بنا فانى أخشى أن يرانا الناس ومعنـا هذه العجوز : وان كانت بسحرها العجيب قد أرتنىوجه محبوبى فىليلة القديس أندريا(١) فكأنه ماثل أمامى .

الفتاة الثانية

أما أنا فأرتنيه فى قطعة من البلّور ؛ جنديا مليحاً وسط جمع من رفقائه ، وقد بحثت عنه فى كل مكان فلم أهتد اليه .

---

(١) هى ليلة ٢٩ نوفمبر . ومن مزاعم العامة فى بعض ممالك أوروبا أنه يتاح فى تلك الليلة لـكل فتاة أن ترى وجه الرجل الذى سيكون حبيبها

جنود (يغنون)

أسد الشرى لا نفزع ! مِنّـا الحِمام يُرَوَّعُ
فلنـا الرماح الشُّرَّعُ ولنـا الأسـنة تلمع

***

كم قد هزَمْنا عسكراً فارتد مُنْحَل العرى
مِنْ كلٍّ ما فوق الثرى يَدْنو لنـا المتمنع ،

***

أى المعاقل لم تَدِنْ أى الشـدائد لم تَلِن
ولنـا عزائم لم تهن منها الجبـال تَصَدَّعُ

***

ولَنَحْنُ فى يوم الغزَلْ هدفٌ لطعنـات المقل
وعزيزنا للحب ذل لِسِواه لَسـنا نخضع ،

***

(يدخل فاوست وواغنر)

فاوست

أقبل الربيع ببهائه وصفائه ، وانجاب الجليد عن الجداول والأنهار ، وأعشب الوادى ؛ وأخصب المرعى . والشتاء قد أدركه الضعف والهرم فتراجع الى قمم الجبال حيث يرسل لنا من آن لآن شؤبوباً من البرَد فينثره فوق الحقول .

لكن سرعان ما تزول آثاره . لأن الشمس لا تترك جليداً الا أذابته . . . .

وقد سَرَت الحياة الى كل جسم بحيث سرت لا ترى الا نباتاً ينمو ؛ وشجراً يخضر ؛ وغصناً يورق . . . وإذا كانت الزهور لم تظهر بعد للعيون . فقد استعاضت عنها الطبيعة بهذه الجماهير من الناس عليهم أحاسن الثياب وغرائب الألوان .

قف فوق هذا المكان المرتفع ! وانظر وراءك الى المدينة ؛ تر الناس خارجين

من بابها المُظْلِم الضَّخم ؛ زُمَراً شتىً وأفواجا إثر أفواج . وكلهم مُفْعَمٌ قلبه بالسرور يحتفلون باليوم الذى بُعثَ فيه المسيح من مثواه . وهم لعمرى كذلك ينشرون اليوم من قبورهم : من غرفهم الرَّطْبـة ومنازلهم الضئيلة . . ومن القيود والأغلال التى تقيدهم بها أعمالهم وحرفهم . . ومن تلك الأزقة الضيقة ذات الجدران العاليـة والسقوف المرفوعة التى تنقبض لمرآها الصدور . . . ومن بين تلك الـكنائس القاتمة الحالكة . . . . من وسط هذا كله قد خرجوا اليوم لينعموا بالنور والضياء والشمس والهواء . فلا يكادون يخرجون من الباب حتى يتدفقوا الى الحقول وينتشروا فى البساتين .

أنظر كيف تشق الزوارق عباب النهر طولا وعرضاً ! وهـذا الزورق الأخير يكاد أن يغرق لكثرة من فيـه . . . وان تلك الجبال القاصية قد لبست كذلك حللا ذات رونق وبهجة .

والآن أسمع صيحات الطرب التى يرددها أهل تلك القرية برغم بعدها عنا . فاليوم يوم نعيم مقيم لأبناء الشعب جميعاً . فكبيرهم وصغيرهم فى طرب دائم وصَفْوٍ لا يخالطه كدر . . . هنا أحس نفسى من بنى الانسان . وهنا يجمل بى أ كون من بنى الانسان .

واغنر

ان كل خطوة أخطوها واياك أيها الأستاذ وكل لحظة أقضيها فى صحبتك شرفٌ وفوز ومغنم . على أنى ما كنت لأخرج وحدى فى مثل هـذا اليوم . . لأنى أنفر من كل ما يفعله أولئك الغوغاء . وأ كره غناءهم وصياحهم ، ولهوَهم ولَعِبَهم . وما أراهم فى رقصهم الكريه الا كمن يتخبطه الشيطان من المس . وهم يُسَمُّونَ كل هذا سروراً وطرباً .

* * *

(فلاحون تحت شجرة يرقصون وينشدون) :

أَسْرَع الرَّاعى الى المرقص فى أحسن حلَّه ،
وهنـاك الجمع يلهو ، تحت دَوْحٍ قد أظلَّهْ
بين رقصٍ وغناء ، وصياحٍ وطربْ .
ترلالا ؛ ترليلا !
ترلالا . ترلا !
يصدح القيثارُ والنّايُ ، وقد زاد اللجَب .

* * *

اقبل الراعى اليهم ، فرأى احدى الغوانى ؛
دَفَعَ الغـادة بالمِرْفَقِ من غير توانى .
فانثنت نحو فتانا ، فى دلال وغضب .
ترلالا ، ترليلا !
ترلالا ، ترلا !
« يا فتى ويك ! أما فيك حياء أو أدب ؟ »

* * *

ثم مالت نحوه مَيْلاً ، وقد زال الجفاء ؛
وسط جمع كلهم حِلْف سرورٍ وصفاء .
ملكتهم نَشْوَة اللهو ، وقد زال الوقار .
ترلالا ، ترليلا
ترلالا ، ترلا !
قد حلا اللهو ، ولذَّ الرقص ؛ وانحل العذار .

* * *

وفتانا سار بالغادة فى ركن أمين ؛
وأحاط الخَصْرَ بالساعد ، فى رفقٍ ولين .

لم يزل حتى أجابت ، ما تمنىَّ وأثابت .

ترلالا . ترليلا

ترلالا . ترلا !

ما أحيلَى ساعة الحب اذا طالت وطابت !

فلاح مسن (مخاطباً فاوست)

والله انه لَكَرَمٌ منك أيها الأستاذ ، أن تتنازل فتخرج فى مثل هذا اليوم وتسير وسط هذا المزدحم من الناس ؛ يحف بك الجلال ، ويتلألأ على ناصيتك تاج العلم . . . فهل تتنازل مرة أخرة ، فتقبل منا هذه الكأس التى ملأناها بأحسن الصهباء . . ولتكن هذه الراحُ راوية للظمأ باعثة للفرح ؛ تطيلُ فى عمرك من السنين بقدر ما فيها من القطرات .

فاوست

آخذ الكأس مسروراً وأشربها شاكراً . (يلتف حوله الناس)

الفلاح المسن

لعمرى أنه لجميل أن نراك وسطنا فى هذا اليوم السعيد . ولقد والله كنت معنا كذلك فى أيام المحنة . وكم من رجل فى هذا المجتمع قد انتشله والدك من مخالب المنون . ودفع عنه عادية الوباء . حين نزل الطاعون بالأرض وأخذ يفتك بنا الفتك الذريع . وأنت اذ ذاك فتى يافع . فكنت تعود المرضى وتأسوا داءهم وتخفف بلاءهم ولقد قضى الكثير نحبه فى تلك الأيام العصيبة . لكنك خرجت والحمد لله من وسط المهالك لم يمسسك سوء . لأن الله معين ومنقذ لمن ينصر الضعفاء العاجزين.

الجميع

متعك الله بالصحة أيها السيد . وأبقاك للضعفاء نصيراً ومعيناً .

فاوست

أحنوا رءوسكم خضوعاً وخشية بين يدى المولى القدير الذى يلهمنا كيف

نتعاون والذى نستمد منه المعونة .   (يتمشى هو وواغنر)

واغنر

ليت شعرى أى سرور تحسه أيهـا الرجل الخطير حين ترى اجلال الناس لك وتكريمهم اياك . وسعيد لعمرى من أناله علمه ومواهبه تلك المنزلة السامية . ألم تر كيف كانوا يشيرون اليك بالبنان . وقد أحدقوا بك احداق السوار . وكيف رغب اللاعب عن اللعب : والراقص عن الرقص . وانقطع الغناء وهدأت الضوضاء ووقف الناس صفاً صفاً مطأطئى رءوسهم يكادون أن يخروا أمامك راكعين كأنما أبصروا الخبز المقدس[1] .

فاوست

سر بنا نحو هذا الحجر ؛ حتى نأخذ قسطنا من الراحة .

كثيراً ما كنت أجلس فى هذا المكان ، بعيداً عن العالم ؛ امعن فى التأمل والتفكير وأرهق النفس بالدعاء والصلاة والصيام . ولى إذ ذاك أمل وطيد وايمان راسخ أنى بهذا الابتهال والتضرع ، والبكاء والخشوع ، أستطيع أن أستعطف إله السموات وأحمله على أن يرفع عن الناس ذلك الوباء . والآن أسمع هتاف هـذه الجماهير فيرن فى مسمعى كأوجع اللوم والتأنيب . وليتك تستطيع أن تقرأ ما فى أعماق نفسى . اذن لرأيت أن الوالد والولد لا يستحقان من هذا الثناء شيئاً

كان أبى رجلا شريف النفس ، كثير الاطراق ، لا ينفك دائباً فى التفكير فى الطبيعة وفى حظائرها القدسية . بجد لا يعرف الونى واخلاص لا تشوبه شائبـة . فكان ينزوى فى معمله الأسود المظلم . ومعه زمرة من خيرة تابعيـه وطلبته . فيصبون العقاقير المتنافرة بعضها فوق بعض ؛ بمقتضى تعاليم وقوانين يخطئها العد . يتناولون الأسـد الأحمر[2] — ذلك العاشق الملتهب — فيزوجونه عصير الزنبقة

(١) الخبز المقدس الذى يمثل جسد السيد المسيح فى عرف النصارى يحمل فى المواكب الدينية الكبرى فى البلاد الكاثوليكية فاذا رآه المتدينون ركعوا .

(٢) الأسد الاحمر فى لغة الكيميا القديمة هو مادة الذهب . والزنبقة البيضاء مادة الفضة .

البيضاء(٢) الفاترة الطبع . ولا يزالون ينقلونهما معاً من دار عرس الى دار عرس ومن لهيبٍ مستعرٍ الى لهيب أشد منـه ؛ حتى اذا رأوا فى الأنبوبة بعد كل هذا النصب والعناء ما يسمونه بالملكة الصغيرة (٢) ذات الألوان البديعة كان ذاك هو البلسم الشافى والعلاج الناجع . . . فاذا الناس تزهق أرواحهم . ولا يسأل سائل إن كان الدواء يشفى أم يقتل !

فكنا بأدويتنا الجَهَنَّمية أشد فتكا بسكان هذه البلاد من الوباء والطاعون . ولكم ناولت بيمينى الدواء للعليلين فكنت أرى أجسـامهم تَنْحَلُ وتَذْبُلُ حتى تُوارى فى جوف الثرى . والآن قدر لى أن أعيش ، حتى أسمع الناس تصب على القتلة الفجّار . أطيب المدح والثناء .

واغنر

إنى لأعجب كيف يحزنك هذا الأمر . أما كفى الرجل الشهم أن يمارس علم الاوائل باخلاص قلب . محافظاً على قوانين العلم حريصاً عليها ؟

ولئن كان مثلك فى أيام صباه يُجِلُّ والده أى اجلال ؛ فيتلقى منه سُوَرَ العلم والحكمة ، حتى اذا كبرت رفعت لواء العـلم وأَعْلَيْتَ صرحه ، فلا جرم اذا جاء ابنك من بعدك فبلغ فيه الغاية التى ليس وراءها غاية .

فاوست

سعيد لعمرى من يكون ذا أمل فى النجاة ، وهو غارق فى بحر من الضلال ؛ يغشاه موج من فوقه موج . . . ان المرء ليجهل تلك الأمور التى هو فى أشد الحاجة اليها . أما الذى يعلمه حق العلم فهو ما لا حاجة به اليه . . على أنى لا أريد أن أكدر صفاء هذه الساعة الجميلة بالتفكير فى مثل هذه الأمور الآلية .

وتزويجهما أى مزجهما فى الانبوبة التى تكون بمثابة دار العرس ، فاذا نجحت العملية وحدث التفاعل المطلوب نشأ من اتحاد المادتين ما يسمونه بالملكة الصغيرة : التى كانت تعـد شفاء من كل داء . ووسيلة لتحويل المعادن الحقيرة الى معدن الذهب

انظر الى الشمس الآن ساعة الشفق وقد كست أشعتها المروج والدور ! أنها تؤذن بالرواح . . وقد تصرم عمر النهار . وهى تجرى الى الغرب مجدة فى السير كى تضىء عالماً آخر . وتشرق على ربوع غير هـذه الربوع . . . فمن لى بجناحى طائر ذى بأس وقوة ! فأرقى فى الجو وأسرع العدو وراء الغزاله . ثم أنظر تحت قدمَىَّ فأرى العالم ساكناً صامتاً . ينيره الشفق الأبدى . وأرى أعالى الجبال تلمع وتتوهج والأودية هادئة مطمئنة . وأشاهد الجداول تسيل كأنها اللجين مسكوباً فوقه النضار هنالك تعجز الاطواد الشامخة عن أن تعوق مسراى الذى يشبه مسرى الآلهة . . . ولقد يبدو لعينى البحر الزخار المترامى الأطراف وقد لمعت فوقه أشعة الشمس الغاربة ثم أبصر ربة السماء وقد اوشكت أن تغيب عن عينى فأنهب وراءها الخطى وأجد خلفها السير، لأُرَوِّى ظمأ نفسى من نورها الأبدى . وما أجل ذلك الموقف وما أبهاه : النهار قدامى ، والليل خلفى ومن تحتى الماء ومن فوقى السماء .

حلم ما أعذبه وما أبهاه ، وما أبعده منى وما اقصاه ! فواحزنى أنْ ليس للجسم كما للروح أجنحة يحلق بها فى جو السماء . . على أن فى طبع المرء طموحاً دائماً يدفعه الى العلياء والى الأمام . . وكيف لا وهذه العنادل من فوقنا ترتل أناشيدها الشجيه وهذى النسور تسبح فوق أطواد يكسوها دوح الصنوبر . . وتلك الكراكى مابرحت تحلق فوق السهول وتخترق البحار باحثة عن وكرها وموطنها . . .

واغنر

لقد تعبث بفكرى الاحلام حينا بعد حين . لكن مثل هذا الحلم لم يخطر لى الدَّهْرَ ببال . فانى سرعان مايعترينى الملل حين أدمن النظر الى الغياض والمروج . وما أرانى حسدت طير السماء يوما . أو تمنيت أن يكون لى أجنحتها وطيرانها . وشتان بين مثل هذا السرور و بين النشوة التى يحسها المرء حين يطالع مختلف الأسفار مقلبا الصفحة اثر الصفحة . . مثل هذا يجعل ليالى الشتاء حلوة جميلة . و يبعث الروح والحياة فى كل جارحة من الجوارح . . . وناهيك اذا حللت فى العلم معضلة أو

اهتديت الى سر جديد . . فهنالك تنزل اليك السموات السبع وتصبح كلها بين يديك

فاوست

انصَرَفَتْ نفسك الى لذة واحدة فليُهْنِئكَ . أنك لا تعرف الأخرى ! أما أنا فيسكن جسدى روحان ، مشاربهما متباينة . وتحاول كل واحدة أن تبين عن الاخرى: الأولى دُنْيوية دَنِيّة تلتصق بأديم هذا الثرى وتتعلق بأهداب هذا العالم . والاخرى طماحة طامعة ، تندفع محلقة فى السماء صاعدة الى مسرى النجوم .

فياليت الأرواح السابحة فى الهواء بين الأرض والسماء تهبط الى فتنتشلنى من وهدتى ؛ وترقى بى الى أقطار جديدة ذات ألوان بديعة . ويا ليت لى الآن « بساط سليمان » فأطير به فى السماء وأسمو به الى الكواكب : اذن لحرصت عليه أى حرص ولا عدلت به ملء الأرض ذهبا .

واغنر

أستحلفك ! لا تستصرخ تلك الارواح الشيطانية التى تملأ الجو وتسد الفضاء . أليست هى التى تبعث لنا من الشمال البرد القارس كاشرا لنا عن أنيابه الحادة والسنته المندلعة ؟ ومن الشرق ترسل لنا رياحا جافة تمتص دماءنا وتُضَيِّقُ أنفاسنا ومن الجنوب تسوق نحونا ريح الصحراء التى تشيب منا النواصى وتُقَرِّبُ مِنّا الآجال . ومن الغرب تبعث لنا السيول الجارفة لكى تهلك لنا الحرث والنسل . . .

تلك الأرواح الخبيثة لا تنصت لقولنا الا لتغرّنا وتخدعنا . وان أطاعتنا فلكى تعد لنا النكبات وتكيد لنا فى الخفاء . . . وربما بدت لنا فى شكل ملائكة السماء ، باسمة ضاحكة ؛ وقلبها ملؤه الحقد والضغينة .

على أن وقت الرواح قد حان . وخَيَّمَ الظلام وبَرُدَ الهواء ، وأخذ الضباب ينتشر . وانما يعرف المرء قيمة منزله ومأواه حين يدركه الظلام ويؤلمه البرد . لكنى أراك قد أخذت منك الدهشة ، واستولى عليك القلق ، فأى شيء عراك وما الذى

أبصرت في الشفق فسبب لك هذه الحيرة ؟

فاوست

أترى ذلك الكلب الأسود الذي يثب ما بين الأشجار ؟

واغنر

أجل أراه ، وقد رأيته من قبل فلم الاحظ ما يدعو للاهتمام بأمره

فاوست

تأمله جيداً ، أما تبصر فيه أمرا عجيباً ،

واغنر

ما أرى الا كلبا يقفو أثر صاحبه شأن سائر الكلاب

فاوست

انظر كيف يدور حولنا كالحلزون مقتربا منا في كل دورة ؛ وفي كل لحظة يدنو منا قليلا قليلا ، وان لم يخطيء ظني فاني أبصر على أثر هذا الكلب شعلات من النار تلهب

واغنر

أنا لا أشاهد الا كلبا أسود ولعلك خدعتك عيناك

فاوست

يخيل لي أنه ينصب لنا الحبائل لكي يقتنصنا عاجلا

واغنر

وأنا أراه يثب من حولنا خائفا مترددا كأنما أزعجه أن يرى غريبين وهو يبحث عن صاحبه

فاوست

لقد ضاقت الحلقة ، وها هو قد دنا منا .

واغنر

أرأيت أنه كلب وليس بعفريت ؟ ها هو يبصبص بذنبه ويقعى على رجليه وهذه كلها عادة الـكلاب .

فاوست

تعال اقترب منا .

واغنر

أنظر اليه تجده حيواناً أعجم كسائر الكلاب . إن سكتَّ ولم تخاطبه وقف ساكتاً ينظر اليك . وإن خاطبته نهض قائما على رجليه . وإن ألقيت له شيئاً عدا فأتاك به . وإن رميت عصاك فى الماء سبح وراءها

فاوست

صدق ظنك ، إنى لا أجد فيـه ما يدل على أنه عفريت . أن هو الا كلْبٌ مُدَرَّب

واغنر

الـكلب أن أُحْسِنَ تدريبه وتهذيبه صار للمرء رفيقاً صالحاً . فهو أهل لـكل ماتبذله نحوه من العطف والعناية ، لأنه تلميذ زكى .

(يذهبان والكلب نحو المدينة)

(٣)

حجرة الدراسة

(يدخل فاوست ومعه الكلب)

فاوست

غادرت الحقول والوديان ، وقد أرخى عليها الليل سدوله ، وكستها الظلماء جلباباً حالكا .

ان الليل البهيم ، بما له من جمال ساحر وبما فيه من أسرار غامضة ، ليوقظ فينا روحاً أرق وأحساساً أشرف . فتهدأ فى القلب كلُّ عاطفة ثائرة ويرقد كل شعور هائج مضطرب . وتتحرك فى القلب عاطفتان : حب المرء لبنى جنسه وحبه لخالقه .

الزم السكون أيها الكلب ، ولا تكثر الجلبة والحركة ؟ وماذا يجديني أن تقف على العتبة تُجَمْجِمُ وتَهَمْهِم ! تعال ارقد خلف هذا الوجاق . وسأحبوك خير وسادة لدى . فتنزل ضيفا مكرّماً رغم أنك صامت لا تحير كلاما . وسأبذل لك الرعاية التى تستحقها ؛ جزاء لك على ما سلّيتنا اليوم بوثبك وعدوك ونحن بظاهر المدينة .

***

أرانى كلما عدت الى غرفتى الضيقة وجلست مستنيراً بهذا المصباح امتلأ صدرى نوراً وقلبى راحةً وسروراً . ورجع الى العقل والتدبر ؛ وعادت زهرة الأمل فأينعت . وأخذْتُ أدمن التفكير فى عجائب الحياة وأسرار الكون .

ويحك لا تزعجنى بصوتك . وهل يتلاءم صوت الدواب وتلك الخواطر المقدسة التى تجيش بها نفسى الآن ؟ . . إنا ألفنا أن نرى الناس يعادون ما لا يفقهون .

ويهزءون بكل طَيِّبٍ وجميلٍ اذا قصرت أفهامهم عن ادراكه . فهل أنت أيها الكلب مثلهم ؟

لكنى رغم كل مجهود أبذله ورغم ما فى نفسى من نية خالصة مخْلِصة . . لا أرى صدرى يفيض بما يروى الظمأ ويشفى الغليل . .

فواعجبى كيف غاض الينبوع بهذه السرعة دون أن يُبَلَّ أوامى !

تلك كانت تجربتى فى الحياة المرة بعد المرة .

على أن هذا النقص قد يدفع بنا الى التفكير فى سَداده . فنطرق باب الأمور السماوية ؛ ونطمح بأعيننا الى الالهامات العلوية . . . ثم نرى أن ليس فى العالم الهامٌ أو وحى أسمى وأجل مما فى الانجيل .

وانى لأشعر بشوق يدفعنى لأن أتناوله فأترجمه بدقة واخلاص . فأنقله من لغته الأصلية الى لغتنا الألمانية المحبوبة .

« يتناول الانجيل ويفتحه »

أول مسطور فى هذا السفر هو ما يلى : « فى البدء كانت الكلمة » لأقف هنا فلا خير فى المُضِىّ قبل أن أستوعب هذه الجملة فهما ؟ . . يستحيل أن تفى لفظة « الكلمة » بالمعنى المقصود ، فلأترجمها بعبارة أحسن :

« فى البدء كان الفكر »

لأتدبر هذه الترجمة مرة ثانية خشية أن تزل بى القدم : هل الفكر هو الذى يخلق كل شىء ويدبر كل شىء ؟ الأولى أن تكون الترجمة

« فى البدء كانت القوة »

لكنى قبل أن يجف المواد عن هذه الجملة يُخَيَّلُ لى أنها قاصرة عن المعنى . . . الآن أرى الرأى الصواب . فقد جاء الرُّوحُ لنجدتى :

« فى البدء كان الفعل » (١)

(مخاطبا الكلب)

ان كنا سنتقاسم هذه الغرفة أيها الكلب فدع الهرير !

أجل ، كُفَّ عن العواء ، فانى لا أطيق جوار رفيق مثلك

يكثر من ازعاجى، ولابد لأحدنا أن يغادر هذه الغرفة ،

وأمامك الباب مفتوح لتذهب أنى شئت ،

وان عز على أن أنتهك حرمة الضيافة ،

لكن ياللعجب ! أى مشهد هذا الذى أراه !

أفى الامكان أن يحدث هذا ! وهل حقيقة ما أبصره ؟ أم خيال ؟

ان الكلب قد نما جسمه وازداد فى الطول وفى العرض ! .

وأراه يعلو وينتفخ بقوة . . . وليس هذا بجثمان كلب .

فأى عفريت هذا الذى جئت به الى دارى ؟

لقد بات يحاكى فرس البحر ضخامة ودمامة . وصار يكشر عن أنيابه ويُقلِّبُ عينين يتطاير منها الشرار .

الآن عرفتك جد المعرفة . وان خير سلاح لمحاربتكم يا سُلالة جهنم هو خاتم سليمان .

عفاريت (فى الخارج) تنشد :

رئيسنا محبوسُ معذَّبٌ منكوسُ
مرتبط مقيَّد فى سجنه مصفَّدُ
لكنه سيخرجُ وسوف يأتى الفرج
لأنه كالثعلب يبصر ألف مهرب

---

(١) يحاول فاوست ترجمة انجيل يوحنا . والترجمة العربية المتداولة أولها: فى البدء كان الكلمة ويرى بعض المترجمين أن اللفظ اليونانى الأصلى Logos غير قابل للترجمة ولهذا فهم يذكرونه كما هو .

فليقترب بعيدنا لعلّه يريدنا
قفوا بهذى الدائرة ولننتظر أوامِرَهْ !

فاوست

أول ما يجب عمله تلقاء هذا الحيوان أن أتلو عزيمة العفاريت الأربعة (١)
ليحترق ساكن النار : سَمَنْدَر !
لينهزم عفريت المـاء : أنْدِينه !
ليختف عفريت الهواء : سيلفا !
وليحل العناء بعفريت التراب : كوبولْد !

أجل لعمرى ! مَنْ جَهِل العناصر والقوى المخبوءةَ فيها ، عَجَزَ عن مقاومه الجان ، ولم يكن له عليهم من سلطان .

يا ساكن النار ! التهب التهاباً .
يا عفريت الماء ! فلْتَنْصَبّ انصباباً .
يا عفريت الهواء ! المع كالشهاب الساطع .
ويا عفريت التراب ! منك المعونة أبدا
أقصر الآن . وتقدم الى الامام !

لكن يا للعجب ! ليس فى هذا الوحش أحد هؤلاء الأربعة .

وما زال مقْعياً على رجليه فاغرا فى وجهى فاه ؟ كأنى ما فعلت به شيئاً ولا أحدثت له ألماً . فلأقرأن عليك عزائم أشد وقعاً وأسرع فعلا

لعلك أيها الرجيم . قد هربت من الجحيم ؟
فانظر الى هذه الاشارة (٢)

---

(١) أى التى تقابل العناصر الأربعة المعروفة النار والماء والهواء والتراب
(٢) هنا يرسم فاوست أشارة الصليب

التى يخر أمامها الشياطين : تلك الزمر السوداء : هيبة ووجلا .
هاقد انتفخ ووقف الشعر فى جسده

أيها اللعين ! هل تبصر هذا وهل تفقه كنهه ؟
هذا القديم الذى لم يخلق ،
الذى لا يُتَفَوَّه باسمه ،
ملء السموات كلها ،
الذى طعنوه وصلبوه (١) .

أراه تراجع الى وراء الموقد وانتفخ حتى بات يحاكى الفيل . . وقد ملأ الفضاء كله : وكأنما يريد أن يستحيل سحابة أو بخاراً فيتطاير ويتلاشى !

احذر ويلك أن تخرج من السقف ، قع راكعاً عند قَدَمَىْ مولاك .

أنا لا أهدد عبثاً . لقد أصابك شواظ من تلك النار المقدسة . وأسْهِلْ على أن أحرقك بها احراقاً . . فلا تدعنى أبرز أسلحتى الماثلة !

(يخرج أبليس من بين الضباب فى زى طالب علم متجول٢ فيتلاشى الضباب)

ابليس

فيمَ هذه الضجة ؟ هل فى قدرتى أن أخدمك أيها السيد ؟

فاوست

أأنت يا طالب العلم كنت تسكن فى جوف ذلك الكلب ؟
أن القصة لطريفة مضحكة .

ابليس

أحييك أيها الأستاذ العلامة ، وان كنت قد اتعبتنى بعزائمك حتى جعل العرق يتصبب من جسدى .

---

(١) هذا كله يراد به السيد المسيح . .

(٢) فى القرون الوسطى كان هنالك فريق من الطلبة يتنقلون من جامعة الى أخرى ويرتزقون أثناء تجوالهم هذا .

فاوست

خبرنى أولا عن اسمك ،

ابليس

هذا لعمرك سؤال تافه ؛ خصوصاً من رجل يحتقر الألفاظ أى احتقار . ولا يَأبَهُ بالعَرَض ؛ ويأبى الا التعمق فى البحث وراء الجوهر .(٢)

فاوست

لـكنكم أيها السادة كثيراً ما تنمُّ أسماؤكم عن حقيقة أمركم . فيظهر لنا جلياً من أنتم حين يدعى الواحد منكم باله الذباب ؛ أو المخرِّب المدمِّر ؛ أو الـكذاب الأشر : أسماء تدل بوضوح على المسميات .

وعلى كل حال فقل لى من أنت .

ابليس

أنا جزء من تلك القوَّة ؛ التى نِيتَّها أبداً نية السوء وصنعها أبدا صنع الخير .

فاوست

ماذا عساك تقصد بهذه الألفاظ : أفصح ولا تلغز .

ابليس

أنا ذلك الروح الذى دأبه الانكار والذى يعشق العدم والفنـاء . . ويحق له هذا ؛ لأن كل ما ينشأ فى العالم وينمو جدير به أن يفنى ويمحى . وكان أولى له لو لم يُوجد ولم يُنْشأ .

وما تسمونه أنتم الغيَّ والضلال والمعصية والباطل . . هذا كله هو عنصرى الخاص الذى أنتمى اليه .

فاوست

وكيف تزعم أنك جزء وأنا أراك أمامى كُلاًّ .

---

(١) هنـا يتهكم ابليس ويسخر من فاوست لمحاولته ترجمة الجمل الأولى من انجيل يوحنا بما لا يؤديه اللفظ كما رأينا

ابليس

ما قلت لك الا الحقيقة ؛ أملاها على تواضعى .

ان الانسان — ذلك العالَم الصغير : عالَم السخف والغرور — كثيراً ما يزعم أنه الكل فى الكل ؛ أما أنا فلست غيرَ جزء من ذلك الجزء الذى كان فى البدء هو كل شىء . أنا جزء من الظلماء التى تولّدَ منها النور .

والنور هو ذلك الابن العاق الذى جاء يزاحم أمه فى العالم ؛ و ينازعها مُلكها القديم .

ولكن هيهات أن يبلغ مأربه ، ما دام دأبه أن يتعلق بالأجسام فينيرها . . وما دام وجوده مرتبطا بوجودها . . ولا تراه العين الا اذا انعكس على جسم من الأجسام . وسيجئ اليوم الذى تنمحى فيه الأجسام وتنعدم الصور والأشكال ؛ وهنالك تدول دولة النور ، وتسود دولة الظلام .

فاوست

الآن فهمت الأعمال المجيدة التى أنت قائم بها . واذ عجزت عن محو الكائنات « بالجملة » تريد أن تجعل باكورة أعمالك محو الأجزاء الصغيرة .

ابليس

وأصدقك الحديث أن ليس فى هذا ما يطفئ الغُلّة . . .

ان هذا العالم الضخم يقاوم الفناء بقدم ثابتة وعزم وطيد . . وقد تقهقرتُ أمامه — بعد اللأى والعناء — منهزماً لم أفز منه بطائل . . ولقد سلطنا عليه العواصف والأمواج والزلازل والنيران ، ومع هذا لم يزل البر والبحر فى أمن وسلام لم يمسسهما سوء .

أما تلك المخلوقات الحقيرة : سلالة الحيوان والانسان : فقد نفدت فيها الحيل . . . ولكم أهلكت من نسلها وقبرت . . فقام على أثرهم نسلٌ جديد

وسلالة تملأُ السهل والجبـل ، حتى كدت أن أجن حزناً ويأساً . . فى الهواء وفى الماء ، فى البر وفى البحر ، تتزايد الـكائنات وتتكاثر ، لا يعوقها حرٌّ ولا بردٌ ولا رطوبة ولا جفاف . . . ولولا انى حفظت لى النـار مسكناً لما وجدت مكانا آوى اليه .

فاوست

أأنت تريد أن تحارب القوَّة الخالقة الابدية ؟ أأنت تريد أن تسلط على العالم أسلحتك الجهنمية لتمحو الوجود وتنشر العدم ؟ الخيبة والفشل نصيبك ، وأولى بك يا ابن الخراب أن تقلع عن هذا وتنشد أمراً سواه .

ابليس

حقيقة قد آن لنا أن نفكر فى شىء جديد . وسأباحثك فى هـذا مرة أخرى . أما الآن فاذن لى فى الذهاب

فاوست

عجيب منك أن تسألنى هذ السؤال وأنا ما رأيتك قبـل الساعة . أليس لك الحق أن تذهب متى شئت وتعود متى أردت العودة ؟ وأمامك البـاب مفتوح والنافذة ، وان حلا لك الخروج من المدخنة فأنت المخير .

ابليس

اعترف لك أنى أريد الخروج لولا أنى يمنعنى ذاك الشكل الخماسى المرسوم(١) على عتبتك .

فاوست

ويك يا ابن الأبالسة ! هل أزعجك هـذا المخَمَّس ؟ فكيف اذن تسنى لك الدخول وكيف انخدعت هذه الخديعة ؟

---

(١) هو شكل مما يستعمل فى السحر والشعوذة كشكل نجم ذى خمسة أركان وكان يرسم على الأعتاب لـكى يمنع الشياطين من دخول الحجرات .

ابليس

لو تأملت المخمَّس لرأيت جانبه القريب من الباب مفتوحاً — اهمالا من من الراسم — فمن تلك الناحية تَيَسَّرَ لى الدخول ، والآن استحال علىَّ الخروج حتى يمحى هذا الرسم .

فاوست

غرائب الصدف — لعمرى — صيرتك سجيناً فى يدى .

ابليس

لم يستطع الكلبُ حين وثب الى هذه الغرفة أن ينعم النظر فيما حوله . والآن بات الشيطان من جراء تلك الهفوة سجيناً لا يستطيع الخلاص .

فاوست

لكن لِمَ لا تخرج من النافذة ؟

ابليس

قانون الجن والشياطين يقضى عليهم ألا يخرجو الا من حيث دخلوا ؛ فنحن عند الدخول مخيرون وعند الخروج مُسَيَّرون مُكْرَهون .

فاوست

اذن فللجحيم أيضاً نُظُمٌ وقوانين . وهذا لعمرى حَسَنٌ . ولقد يَتَيَسَّرُ اذن أن يعقد المرء وايا كم أيها السادة الأبالسة اتفاقاً ومعاهدة .

ابليس

نحن قوم نَفِى بكُلِّ ما نعد لا ننقص ولا ننقض منه شيئاً . لكن الأمر يطول شرحه . وسنتخاطب فى هذا مَرَّةً أخرى . أما الآن فأسترحمك أن تفك أسرى .

فاوست

ابق لحظة لتقص علىَّ قصة صغيرة .

ابليس

دعنى الآن وسأعود اليك قريباً فتسألنى ما شئت .

فاوست

ما أرغمتك على المجىء الى هذه الغرفة ؛ بل أنت الذى وضعت رجلك فى الحبالة . وأولى بمن احتبس الشيطان أن يحرص عليه فانه قلّ أن يقع فى الشرك مرة ثانية .

ابليس

ان كان يحلو لك بقائى فلأبق فى صحبتك . على شرط أن أقضى الوقت فى ابداء ما لدى من الفنون .

فاوست

أنت حر فى هذا ويلذ لى أن أرى ما لديك من الفنون على شرط أن يكون فيه تسلية وفكاهة .

ابليس

فى هذه الساعة القصيرة يا صديقى ستغنم حواسك من اللذة مالم تبلغه طوال هذه السنين . وأن ما ستطربك به الأرواح اللطيفـة من الأناشيد الشجية وتبديه لعينيك من الصور البديعة ليس بمجرد سحر تافه . . . وسترى أن لذته ليست قاصرة على ما تسمعه الاذن وتبصره العين . بل أن الانف سيجد فيها مُتْعته والفم لذته وشهوته واللمس نعيمه وسعادته

وسترتجل الارواح كل هذا ارتجالا من غير سابق استعداد .

ابتدئوا الآن ؟

(الارواح تنشد) (١)

---

(١) لابد من كلمة نفسر بها هذا النشـيد ومغزاه ! يعلم ابليس عن فاوست — ما لايعلم فاوست عن نفسه — أنه فى حاجة لأن يترك غرفته المظلمة ويخرج الى العالم الفسيح فيرى السماء

لتَنْجَلِ الغياهبُ   ولتُرفَعِ السُّقوفُ
ولتنمحِ السحائبُ   فوجهها مخيفُ !

ولتظهر الزرقاء   ولتشرق الشموس
فلؤلؤها بهاء   تصبو له النفوس !

أيا غيومُ انقشعى   لا تبقَ منك باقيه !
ويا كواكب المعى   وسط الليالى الداجيه

انظر لسكان السَّما   أبْدِعْ بذاكَ مَنْظَرا !
فى كفهم جميع ما   تشتاق أنفس الورى

يا ما أحَيْلاهم اذا   مرُّوا على وجه الثرى
غَصَّ الفضاء من شذا   عبيرهم منتشرا .

كم أبصروا من عاشق   منهمكٍ فى حبه ؛
فى الروض والحدائق   ينعم وسط صحبه .

أنظر الى الأنهار ،   أنظر الى الأزهار
أنظر الى الأشجار   أبْدع بذى الثمارِ !

عناقيدٍ تدلت   من أفرُعِ الكروم:

والماء والمروج والكروم والخمر والعشاق والغيد . وكل ما فى العالم من بواعث السرور . ولكى يثير فى نفسه رغبة شديدة ومبهمة لكل هذه الاشياء أخذ يسمعه هذا النشيد . وفيه يعرض لعينيه صوراً متباعدة مفككة قليلة الارتباط بعضها ببعض ، أشبه شىء بما يراه النائم فى الحلم . . وقد أخذت فاوست فعلا سنة من النوم أثناء اصغائه للانشودة . التى سماها غوتيه المرقدة Einschläferungslied . هذا ما يحسن أن يذكره القارىء لكى يدرك السر فى أن الابيات الآتية مبهمة المعنى والرابطة . . والترجمة فى هذا ليست الا صدى للاصل .

بدائعٌ تجلت تصْبى نُهى الحليم

أنظر الى الأعْناب تسيل خمراً صَافيَه !
تسيل فى الهضاب أنهار راحٍ جاريه .

حصباؤهامن الدُّرَرْ وخالص الزبرجد .
يميل فوقها الشجرْ بكل غصن أملد .

أبْدِع بذاك نَهْرا يسيل فى المروج
ثم يصير بَحْراً ذا منظر بهيج !

وسط جبال عَاليَهْ يكسورباهاالسُّنْدُس
فيهاالعيون الجارِيَهْ من الصفا تنْبَجِسُ

ياطير ! هاكِ فاشربى من راحها وغردى !
ولتمرحى ولتطربى وسط جنان الخُلُد !

وفى السماء حلقّى نحو النجوم الزُّهرُ .
للغرب أوللمشرق : للشمس أو للقمر .

حتى توافى جُزُراً وسط البحار قائمه ؛
يَاحُسْنَ هذا منظراً يَشْفِى النفوس الحائمه!

فيها الرياضُ الزاهره فيها المروج الناضره
فيها العيون الساحره ذات الجفون الفاتره.

الحور فيها تَمرَحُ ترقص أو تُغرِّدُ
أو فى البحار تَسْبح أو فى السماء تَصْعَدُ .

* * *

ابليس

هاقد أخذته سِنةٌ من النوم . . فمرحى مرحى يا زهرة شباب الشياطين . لقد أجدتم النشيد وأحسنتم الغناء حتى غشيه النعاس . وأنا مدين لكم من أجل هذه الأنشودة . . أنت أعْجَزَ ياصديقى مِن أن تمُسِكَ الشيطان فلا يفلت منك . فلتبق غريقاً فى سباتك . ولتعبث بفكرك الأحلام الحلوة وتتلاعب بك الأوهام .

لكن كيف أخرج من هنا وهذا الطلسم منقوش على عتبة الغرفة . لا بد لى من فأرة تقرضه بأسنانها .

ولست بحاجة لأن أقرأ عزيمة طويلة فهأنا أسمع صوت فأرة واخالها تسمع صوتى .

« ان زعيم الفيران وامام الجرذان وعميد بنات عرس الذى يدين له الذباب والبق والقمل . يأمرك ان تحملى على هذه العتبة فتقرضى ذلك الطلسم وتمحيه .

هأنتِ قد أتيت فأسرعى : لاتتركى من هذا الرسم أثراً . لم يبق الاالقليل. هأنت قد انتهيت من عملك . وقضى الأمر .

وأنت يافاوست طابت لك الاحلام حتى ألقاك بعد قليل .

(يخرج ابليس)

فاوست [مستيقظا]

هل أرانى خدعت مرة أخرى ؟ أهكذا تختفى الارواح بعد ظهورها . ولا يبقى سوى حلم كاذب خدعنى به الشيطان وذكرى كلب قد هرب منى . . .

٤

حجرة الدراسة

(يطرق الباب)

فاوست

ادخل !

من جاء يزيد فى كربى وتعذيبى ؟

ابليس

أنا

فاوست

ادخل !

ابليس

حتى تقولها مرة ثالثة

فاوست

ادخل اذن

ابليس

يعجبنى منك هذا اللطف . واخال أنى سأكون واياك على وفاق ووئام . أردت أن أشرح صدرك وأطرد عنك الهموم . فجئتك فى زِىّ السادة الأشراف ؛ مرتدياً حُلَّةً حمراء مزينة بالقَصَب ؛ ذات أكمامٍ من خالص الدِّمقس . وعلى قلنسوتى هذه الريشة . وفى خاصرتى هذا الخنجر الماضى الغرارين . والآن أسألك أن تَتَزَيَّـى بهذا الزِّى ؛ وتتحلَّى بهذا الحَلْى . حتى تَفُكَّ عنك هذه الأغلال . وتنقشعَ عن سماء محياك هذه الغيوم ؛ فتدرك حقيقة الحياة .

فاوست

ان مثل هذا الثوب ليزيدنى شعوراً بآلام هذه الحياة الأرضيـة الضيقة المحدودة . . ما أنا بالشَّابِّ الفَتِيِّ فألهوَ وألعب ؛ ولا بالشيخ الهرم فأقطع من الحياة كل رجاء . وكلما سألت الدهر منحة ؛ ومَدَدْتُ كفَّى أبتغى نوالا ؛ كان الجواب الأبَدِىُّ على سؤالى أن « يجب أن تُحْرَم . . يجب أن تحرم! » . . . مثل هذا الرد الخشن الجاف هو كل ما طرق آذانى طول هذه السنين . .

وانى لأستيقظ كلَّ يوم فأ كاد أتميز من الغيظ وأذرف الدمع كمداً وحسرةً على أيام تذهب سراعاً . دون أن تبلغنى من الدنيا قصداً أو تنيلنى أمنية واحدة .

ولو صوَّر لى الوهم أن نجْم سعدى قد بدا فما يلبث حتى تداهمـه سحب الأحزان فتحجُبَهَ . وأعود كما كنت فى ظلماتٍ بعضها فوق بعض .

وتَرانى اذا جَنَّ الليل وذهب كلٌّ الى فراشه يبتغى لنفسه الراحة ، آويت الى مضجعى ، فاذا هو كأنه من شوك القتاد . واذا أنا أتلوى عليـه كالملسوع وأتقلب كأنى راقد على الجمر . فاذا تجاسرت وأغمضت عينىَّ لحظة أتتنى الأحلام المروِّعة التى يهلع لها الفؤاد ؛ ويفزع منها القلب الجليد .

ان الالهَ الذى يسكن فى أعماق صدرى هو أقدر ما يكون على إثارة مشاعرى . مسيطرٌ على قواى يُسَيِّرُها كيف شاء . لكنـه أعْجَزُ ما يكون عن التحكم فى العالم الخارجى ؛ لا حول له أمامه ولا قوة (١)

لا غَرْوَ — إذَنْ — ان باتت الحياة عبأ على كاهلى وحرَجاً فى صـدرى . وأمسيت والحمام ضالتى المنشودة . وشفاء قلبى الـكليم .

ابليس

برغم هذا كله ، فما الموت بمرغوب فيه ولا محبوب .

---

(١) أى أن روحه قادرة على تعذيبه وتنغيص عيشه ؛ بقدر عجزها عن تسخير العالم الخارجى لراحته وسعادته

فاوست

أجل لعمرى ! وسعيد جداً ذلك المحارب الذى يتجرع كأس المنون وسط أعلام النصر فيعقد الموت على جبينه اكليلا من الغار مخضباً بالدماء . وسعيد ذلك الفتى الذى قتل الليل وَنَفْسَهُ رقصاً ؛ ثم خرَّ بين ذراعى غادته صريعاً ... و ياليتنى ليلة أن رأيت ذاك الروح وتمثل جلاله أمام عَيْنَىَ داهمتنى المنية وفاضت نفسى بين يديه .

ابليس

على أنه فى تلك الليلة نفسها أراد أحد الناس الانتحار بالسم . ثم أبى أن يتجرع الكاس .

فاوست

أراك وَلوعاً بالتجسُّسِ .

ابليس

أنا محيط بكثير من الامور علما ؛ وأن لم اكن عليما بكل شىء .

فاوست

لئن كانت تلك النغَمَات العذبة التى أَلِفْتها من الصِّبي قد انتشلتنى من وهدة اليأس القاتل . بأن اعادت الى خاطرى ذكرى أيام أسعد وعيش أرغد . فأيقظت كامن أشجانى . وحالت بينى و بين الموت الذى كنت أتمناه .

فالآن أصبُّ اللعنة على كل شىء من شأنه أن يخدع الروح و يغرُّها بالزخارف والاباطيل . لكى يُلقى بها فى بؤرة هذه الحياة الملآى بالاحزان والهموم .

أَلاَ لُعِنَتْ تلك المُثُل العُلْيا التى تَقَيَّدُ بها الروحُ نَفْسها . . .

وتَباً لتلك الظواهر الخلابة الجذابة التى تملك منا الحواس . . .

وبُعْداً للاحلام المغرِّرة التى تُطمِعُنا فى الشهرة وفى خلود الذكر .

أَلاَ لُعِن المال ؛ تصبو لاحرازه النفس .

و بعداً للزوجة والاهل ؛ وللبنين والبنات وللخدم والحشم .

أَلا لُعِنَ مامون — إله النضار — إذ يدفع بنا لاقتحام المهالك مِنْ أجل كنوزه ؛

ثم يسلمنا الى نعيم الكسل والبطالة ؛ و يوسِّدنا الراحة والدعة .

ألا تَباً للخندريس و إن كان فيها الشفاء .

و بعدا للعشق ووصال العاشقين .

الا لُعنت الآمال والامانىّ . ولُعِن الايمان الثابت .

واللعنة كل اللعنة على الصبر الجميل .

أرواح (غيرظاهره)

وَيْكَ قد شوّهْتَ وَجه الــعالَم الغضّ الجميلْ .

وغدا طرفك أعمى لا يرى قصد السبيل .

تزدرى ويلك هذا الــكون ذا الشأن الجليل .

هاك انهارٌ عذابٌ فى نواحيه تسيل ؛

فلماذا — ويك — لا يشــفى لك اليوم غليلْ .

ابليس

هؤلاء هم الأحداث الصغار من قومى وعشيرتى . لهم من أصالة الرأى والحكمة ما للشيوخ المحنكين .. وأراهم يريدون أن يجتذبوك الى محاسن هذا العالم الفسيح . ويخرجوك من هذه البؤرة التى تقضى فيها أيامك فى وحدة تُضْجِرُ النفس وتخمد جمرة الحواس .

والآن لا تدع هذه الكآبة تذهب بك كل مذهب فانها كالأفعوان فاغرة فاها لتلتهمك وأنت على قيد الحياة .

انك لو خرجت الى العالم وجالست حتى الأسافل من الناس لاستشعرت

لذة جديدة ؛ ولأدركت انك آدمى تعيش وسط الآدميين أمثالك . على أنى لا أريد أن ألقى بك بين سوقة الناس وعامتهم .

أنا لست من العظماء ذوى القوة والجبروت ؛ لكنك ان أردت أن أصاحبك مصاحبة الظل وأسلك واياك سبل الحياة ، فانى مستعد لأن أنصرف الى خدمتك من الآن . فأكون لك فى الحياة رفيقاً رفيقاً . وان شئت أكن لك خادماً وعبداً رقيقاً .

فاوست

ويحك فما تطلب منى تلقاء هذا كله ؟

ابليس

أمامنا من الوقت متسع ، فلنترك هذا الى ما بعد .

فاوست

لا وأبيك فأنا أعلم أن الابالسة أهل طمع وجشع . ولا يعملون عملا لوجه الله ان كان للناس فيه فائدة . فقل لى أى جزاء تريد منى تلقاء خدماتك تلك . فان خادماً مثلك خَطر على الدار وصاحبها أيُّ خَطَر .

ابليس

هاك ما أبتغيه منك :

مادمتَ فى هذا العالم فأنا أطوع لك من العصا . واسرع الى اجابة أمرك من البرق وأعدى خلف ماتشتهيه من السهم ؛ واشد اخلاصاً لك من يمينك . . . حتى اذا حان الحين وانتقلت الى العالم الآخر ، فهناك فلتطعنى كما كنت هنا اطيعك .

فاوست

لست أعبأ كثيراً بالعالم الآخر . . . فى هذه الأرض رِیٌّ من ظمئى . وشبعٌ مِنْ سغبى . وشفاء لعلتى وغذاء لروحى . وهذه الشمس هى سراج حياتى، وهدايتى

وسط الغياهب . فان غاب هاتان عنى وحِيلَ بينهما و بينى . فليحدث لى ما عساه أن يحدث . فانى لا أبالى بعدهما بشيء . وما يهمنى أن أعلمَ إن كان فى العالَم الثانى شقاء أو نعيم ؛ وحبٌّ أم بغض ورفعة أم ضعة .

ابليس

ان كان هذا رأيك فأبرم أمرك ، وليتم بيننا التحالف . وعما قريب ترى من سحرى العجائب وتنعم بما لم ترهُ العيون ؛ وما لم يخطر لانسان ببال .

فاوست

أأنت أيها الشيطان الحقير تمطر الهبات وتجزل العطايا ؟ وأنَّى لمثلك أن يدرك ما يخطر للنفس البشرية حين تُحلق فى السماء وترقى ؟ وهل عندك إلَّا شرابٌ لا يطفىء الظمأ وطعامٌ لا يشبعُ من جوع . ومالٌ كالزئبق لا تكاد تمسكه الكف حتى يزول ويختفى . أو لهوٌ ولعبٌ ليس وراءهما الا الخسار والدمار ؛ أو فتاةٌ حبها رياء ووصلها نفاق ؛ تضع رأسها على صدرى وعينها تنظر الى جارى . أو شهرةٌ ومجدٌ هما كالشهاب الساقط يضىء لحظة ثم يخبو الى الأبد ؟

أتريد أن تخدعنى بتلك الثمار التى أدركها العطَب قبل أن تُمَدَّ الأيدى لاقتطافها . أم بتلك الأغصان التى ما أورقت حتى ذَوَتْ ولا أينعت حتى صوَّحتْ ؟

ابليس

هيهات أن تزعجنى بمثل هذا الكلام .

حقيقة انى قد أقدم لك مثل تلك الكنوز : لكن سيأتى وقت أيها الصديق فننعم بطعام أشهى وألذ فى صفاء وراحة .

فاوست

لئن جاء اليوم الذى أرقد فيه على فراش الكسل والراحة ، ولئن أصبحت بفضل مكرك وخداعك ، وبحيلك وألاعيبك ، أتوهم أنى فى رَغَدٍ من العيش . أو

خيل لى أنى غدوت من السعداء . فليكن ذلك اليوم آخر أيام عمرى .

وهذى مراهنة بينى و بينك .

ابليس

إذن اتفقنا .

فاوست

وأزيدك فوق ما قُلْتُهُ : انى لو مرَّتْ بى لحظةٌ من الزمن وكانت من الحسن بحيث قلت لها : أن « لا تبرحى فما أحلاك ! » . . فهنالك فلتهيىء لى سلاسلك وأغلالك . . هنالك أرحبُ بالموت ؛ هنالك فلتندبنى النوادب . وهنالك تنتهى خدماتك لى . . وعندها فلتقف ساعةُ عمرى وليَخْبُ سراجُ حياتى .

ابليس

تبصَّرْ فيما تقول فانى لن أنساه .

فاوست

ويحق لك ذلك . فانى لم أفه بكلمةٍ عبثاً . ومتى كان بينى و بين امرئ عهد فكلمتى تقيدنى ووعدى يسترقنى . سواء أكان العهد معك أم مع سواك .

ابليس

حسن . وسأشرع من هذه الساعة فى القيام بما يجب على من فروض الخِدْمة والطاعة .

على أنى أسألك أن تخطَّ لى سطرين يتضمنان ما تعاهدنا عليه .

فاوست

ويلك ! أتريد أن يكون العهد الذى بيننا مكتوباً ؟ أما سمعت فى عمرك بوعد الرجل الحر . ووفاء المرء بالعهد ؟ أما يكفى أنَّ كلمة فهت بها ستُقيدنى أمامك ما حييت . وسأبقى فى رِبْقَتها مدى الدهر ؟ فبينما الناس أحرارٌ طليقون أكون أبداً أسير الوعد الذى وعدته .

على أنها قيود محبوبة الى النفس وأسرٌ يستعذبه الحر . وسعيدٌ من حمل الوفاء فى صدره نقياً من كل شائبة . وضحى بكل ثمين فى سبيل المحافظة على عهده .

أما العهود المسطورة على الأوراق فشبَحٌ مخيف تنفر منه النفس الصادقة . لأن الكتابة تسلب الكَلِمةَ روحها وسرها ، فلا يبقى مِنْها سوى الورق والمداد

وماذا تبتغى منى أن أكتب لك أيها الشيطان الرجيم ؟ وهل تريد أن أكتبه لك على الطروس أو أنقشه على الرق أو أحفره على الصخر ؟

اختر ما يحلو لك .

ابليس

عجبى منك كيف غلوت فى الأمر وأخذت منك الحدة مأخذها . والمسألة هينة . اكتب على أى وريقة شئت . ومتى وصلت الى النهاية فأمض العهد بقطرة من الدم .

فاوست

ما دام هذا ما تشتهيه . فسأفعله على ما به من سخافة .

ابليس

الدم عصيرٌ عجيب لا يعدل عنه الى غيره .

فاوست

لا يخطر ببالك أنى أنقض العهد الذى أبرمته وإياك . فان كل ما لدى من حول ومن قوة موقوف على إنفاذ ما عاهدتك عليه .

ولقد مضى على زمان كنت فيه كثير الطموح ؛ لا أتطلع لما دون مرتبة الأرواح . . . حتى بدا لى ذلك الروح الجليل منذ ليالٍ ، فازدرانى وأرانى حقارة قدرى . . ونظرتُ فاذا الطبيعة قد أوصدت أبوابها فى وجهى . واذا خيط التفكير

قد تقطَّع . ومِنْ قَبْلُ ما كَرِهَتْ نفسى العلم ونفرت منه .

والآن فلنخمد عواطفنا الثائرة المضطربة فى أعماق بَحْرٍ من الشهوات . ولنكشف قناع السحر عن كل آية وأعجوبة لم تقع على مثلها العيون . ولْنَثِبْ بِقُوَّة وسط أمواج الدهر المتلاطمة ؛ وتَيَّار الحوادث المتدفق . . وسيان عندى ان تعاقبت على الراحة والألم ؛ والصحة والسقم ؛ والنجح والفشل . على شرط ألا يستقر لنا قرار ، ولا نخلد الى السكون .

ابليس

أطلق لنفسك العنان كما تشاء . فإن أردت أن تشرب من سائر اللذات حتى تروى ، أو أردت أن تتذوقها على عجل ، فلك الخيار . وعلىَّ أن أنيلك ما تريد . فَتَمَسَّكْ بأذيالى ؛ واخلع عنك برقع الحياء .

فاوست

ليس التمتع والتنعم هما بغيتى وضالتى . أريد ألقى بنفسى فى مِرْجَلِ الدهر الهائج المضطرب . أريد أن أمارس النعيم المؤلم ؛ والغيظ المنعش . والبغض الذى ملؤه الحب . والآن وقد بات صدرى حُرًّا من ممارسة العلوم ؛ فلن أحول بينه و بين الآلام مهما جَلَّت . . . أريد أن أشرب بالكأس التى يشرب بها سائر الناس وأن أرقى الى أسمى غاية ثم أهبط الى أعمق هوة . حتى يمتلىء صدرى بما يعانيه الناس من سعادة وشقاء . فلا تزال نفسى تكبر وتعظم حتى تحتوى نفوس الناس جميعاً . ثم أرد الحوض التى قُدر لهم أن يَردوها .

ابليس

صدقنى ، أنا الذى قضيت آلاف السنين أطْعَمُ من ذلك الصاب ، إنه لا يوجد فى العالم رجلٌ استطاع أن يسيغَ الحزن غِذَاء والهموم شراباً . . ولو قضى فى محاولة هذا العمر كله من المهد الى اللحد . وثق بقولى إنَّ هذا العالم البديع انما

هو ملاك لاله واحد . فهو وحده يعيش وسط النور الأبدى . أمانحن — الشياطين — فقد أُلقِيَ بنا فى حنادس الظلماء . واما أنت فيتعاقب عليك النور والظلام والسعادة والشقاء .

فاوست

ولكنى أريد .

ابليس

يا حبذا ما تريده لولا أننى أرى أمامنا عقبة هائلة : ذلك أن العمر قصير والقصد بعيد .

وقد يحسن بك أن تتلقى بضعة دروس . فالتمس لك شاعراً من الشعراء ولازمه ملازمة الظل . ودعه يسبح بك فى سماء الخيال (١) . فيحشو رأسك المُبَجَّلَ بسائر الصفات الكريمة والأخلاق النبيلة . ببسالة الأسْد وخفة الظباء . ونخوة الايطالىّ وثبات الجرمانى . دعه يعلمك كيف تجمع بين خبث النفس وكرم الطباع . وكيف تستطيع — ودم الشباب يغلى فى عروقك ؛ وشهوات الصبى تجيش فى صدرك — أن تعشق عشقاً هادئاً مطابقاً لقوانين ونظم موضوعة .

وأنا نفسى أود أن لو رأيت مثل هذا المعلم ؛ اذن لأطلقت عليه اسم العالَم الصغير :

فاوست

ومن أنا حتى أعجز عن إحراز ذلك التاج الجليل الذى تطمح اليه النفس وتشتاقه كل جارحة من جوارحى ؟

ابليس

أنت كما أنت ! حاوِل ما شئت أن تطولَ وتسمو . . ضع على ناصيتك من الشعر المستعار آلاف الخصلات . . وضع فى رجليك أحذية عالية . فلا وأبيك

(١) هذه العبارة وما بعدها يقولها ابليس على سبيل التهكم

ما أنت بعد هذا كله الا حيث كنت من قبل .

فاوست

انى أحس صدق ما تقول . . وعبثاً أحرزت سائر الكنوز التى أنتجها الفكر البشرى على مر السنين . ثم جلست بعد لأىٍ أتأمل حالتى . فاذا أنا لا تفيض من نفسى قوة جديدة . ولا أرانى اقتربت قيد شعرة من الذات اللانهائية .

ابليس

ياسيدى الطيب القلب انك ترى الأشياء كما يراها سائر الناس . والواجب يقضى علينا أن نسلك مسلكا جديداً . قبل أن تنصرم لذات العمر و يفوت الأوان .

أليست لك يداك ورجلاك ؛ ورأسك و بطنك . . فلماذا لا تستخدمها جميعاً فى التنعم والتمتع . وهل هذا ضائرك بشىء ؟ ألا ترى أنه لو كان لى ستة من جياد الخيل لأصبحت قادراً على التصرف فى قواها كيف أشاء فأعدو بها حيث اريد كان لى أر بعاً وعشر ين ساقاً .

فلتنهض الآن ولتسارع الى العالم ! ودع كل هذا التفكير الذى لا يجدى . فلعمرك ما الرجل الذى يقضى عمره يفكر و يحسب الا كالحيوان الأعجم ، يدور فى دائرة ضيقة لا زرع فيها ولا عشب . ولو خرج عنها لحظة لرأى حوله الزروع الناضرة والمراعى الخصيبة

فاوست

إذن فبماذا نبدأ ؟

ابليس

أول شىء نعمله أن نغادر هذا المكان . ياعجبالك كيف استطعت البقاء فى دار العذاب هذه ؟ أى عيش هذا الذى تعيشه أنت وتلاميذك ؛ وأى بلاء تعانونه فى هذه البؤرة ؟ وكان الأخلق بك أن تترك هذه الأعمال العقيمة لرجل بليد غليظ القلب ممن يستطيعون لها احتمالا . وماذا يجديك أن تقضى عمرك تذرو الهشيم المرة بعد المرة.

ومع هذا فانك لا تقدر أن تبوح لتلاميذك بأجل وأسمى ما تعلم
كأنى الآن أسمع صوت أحدهم قادماً الينا .

فاوست

أنا لا أطيق رؤية أحد .

ابليس

وما يصنع المسكين وقد طال به الانتظار ؟ أولى بنا الا نتركه يرجع بخفى حنين .
أعطنى رداءك وقلنسوتك . أن التنكر بهذا الزى يلائمنى الملاءمة كلها .

(يلبس ثياب فاوست)

ولن يخوننى ذكائى فى مثل هذا الموقف . وحسبى أن أتكلم واياه هُنَيْهَة ريثما تتأهب لرحلتنا الميمونة .

يخرج فاوست

ابليس (فى ثياب فاوست الطويلة)

احتقِر العلمَ والعقل ما شئت ؛ وهما أجل وأغلى ما يملكه البشر . ثم تعال فألق بنفسك بين مخالب الشيطان المضل ليخدعك بسحره وحيله ! الآن قد أصبحت لى ؛ بلا قيدٍ ولا شرط

ان القضاء قد منح هذا الرجل روحاً طَمُوحة : تسعى أبداً الى الأمام وتشرئب أبداً الى العلياء ؛ ولشدة تسرعه وتطلعه الى السماء قد عميت عينه عن رؤية ما على الأرض من لذات وخيرات .

والآن سأجرُّه جراً فى مسالك الحياة الوعرة . وأرضيه عن مطامعه الجسيمة بالحقير التافه . . ولسوف يقتله الجوع وينهك قواه الظمأ ؛ ثم يلتمس الطعام والشراب فيراهما على كَثَب منه . ويمد يديه فلا يستطيع لهما طلباً . .

ولا نجاة لمثل هذا من الدمار . فلو لم يسلم نفسه الى الشيطان لرأيناه بعد حين يسير الى حتفه من تلقاء نفسه.

(يدخل تلميذ)

التلميذ

قصدت هذه البلدة منذ زمن قصير . وجئت وقلبي ملؤه الهيبة ، لكي أتشرف برؤية ذلك الرجل العظيم الذي سارت بذكره الركبان : والذي يعظمه الجميع و يبجلونه

ابليس

سرني أدبك ؛ على أنك لا ترى أمامك الا رجلا مثله في العالم كثير .

هل سبق لك أن ذهبت الى معهد آخر ؟

التلميذ

انى ألتمس منك أن تُعنى بأمر تعليمى : وقد أتيت ولى رغبة شديدة فى العلم ونشاطٌ جمّ . ولدى من المال ما يكفى حاجتى .وقد غادرت أهلى ووطنى رغم معارضة أمى الشديدة . لعلى أحرز من المعارف ما يعلى قدر المرء و يرفع منزلته .

ابليس

اذن لقد وفقت الى خير مكان

التلميذ

أقول لك الحق . لقد حدثتنى نفسى بالرجوع ؛ ولم يرق فى عينى منظر هذه الجدران ، وتلك الحجرات القاتمة . والمكان كله محدود محصور : لاترى فيه ماء ولا خضرة ولا نبتاً ولا شجراً . وفى مثل هذه الغرف وبين تلك المقاعد يخمد الفكر و يعيا السمع والبصر .

ابليس

ستعتاد نفسك كل هذا . والطفل ينفر بادىء بَدْء من ثدى أمه . ثم متى ألفَهُ وعرفه أكب عليه برغبة وشهوة . وأنت كذلك ستقبل على لبان الحكمة والعلم فترتضع منها مافيه ريٌّ لظمئك وغذاء لروحك

التلميذ

سأتمسك بأذيال العلم . وأقبل عليه فرحاً مسروراً . فقل لى كيف أصل الى غايتى

ابليس

قبل أن نتعمق فى الحديث أريد أن أسألك . هل اخترت الكلية التى تريد أن تلتحق بها ؟

التلميذ

أريد أن أصبح فى مصاف رجال العلم وأود أن أحيط بما فى الأرض وما فى السماء . وأن أدرك أسرار العلوم ومكنونات الطبيعة .

ابليس

انك سائر فى أقوم طريق ، فحذار أن تضيع وقتك سدى !

التلميذ

سأنهمك فى الدرس روحاً وجسداً . بيد أنى لا أكتمك أنى لا أستطيع أن أستغنى عن قليل من اللهو والتسلية من آن لآن . ناهيك بأيام الصيف الجميلة .

ابليس

أحْسِن الانتفاع بالوقت فانه سريع الذهاب . ونظم عملك حتى تتوفر لديك فسحة من الزمن . . وانى أنصحك أن تبدأ أولا بدراسة المنطق ؛ حتى يمرن ذهنك وترتاض روحك ؛ وتحصر فكرك فى دائرة ضيقة وتقيده بسلاسل من الفولاذ ؛ كى لا يكون طليقاً حراً يسرح ويمرح حيث شاء .

وسيعلمك المنطق أن كثيراً من الحركات والأعمال البسيطة الهينة : التى نعملها فى كل حين ونظنها أمراً واحداً مثل الأكل والشرب — هى فى الحقيقة حركات معقدة لها أوائل وأواسط وأواخر : وأن الفكر عند اشتغاله يشبه آلة النسيج . تضرب بيمينك فى موضع منها فتتحرك آلاف الخيوط ؛ ثم تضرب

بيسارك فى موضع آخر فتتشبك الخيوط بعضها ببعض ؛ وترتبط اللحمة بالسدى .

ويجيء الفيلسوف بعد هذا فيريك بالدليل القاطع أن سير المنسج يجب أن يكون على هـذا النمط ؛ وانه لو لم يكن الأمر الثالث لما كان الرابع ؛ وان الثانى سبب وجود الثالث . وأنه لولا الأول لما كان الجميع .

مثل هذه المعلومات قد شغفت التلاميذ حباً ؛ ولو انهما لم تزدهم بالنساجة علما .

وطريقة العلماء اذا أرادوا وصف جسم حيّ . أن ينتزعوا منـه الروح . ثم يمسكوا أوصاله بأيديهم ويحدّقوا فيهـا بأبصارهم ؛ وقد ذهبت قيمتها بعد أن غادرتها تلك الجوهرة الغالية . وهم يسمون هذا « خصائص الطبيعة » . وما يسخرون الا بأنفسهم وهم لا يشعرون .

التلميذ

لم أستطع فهم عبارتك الأخيرة .

ابليس

لا بأس : فستعتاد فَهْم هذه الأمور ؛ متى علمت كيف تفرق بين الأشياء ثم تعود فتجمعها بعضها الى بعض .

التلميذ

لكن ما بال رأسى قد تشوّشَ واضطرب كأنما تدور فيه طاحون .

ابليس

أنصِت الى ! أول ما يجب عليك عمله هو أن تدرس ما وراء الطبيعـة ؛ فبذلك تحصِّل من المعلومات العميقـة العويصة ما يستحيل على الفكر البشرى ادراكه وفهمه . وسواء أفهمت الأمور أم لم تفهم ؛ فستصبح لديك مجموعة قيّمة من الألفاظ والأسماء .

ونصيحتى لك أن تواظب على درسك فى الأشهر الأولى .. فاذكر أن ساعات

الدراسة خمس . و بكر الى الدرس ما استطعت التبكير . واحرص على قراءة درسك قبل أن تدخل حجرة التعليم . لترى أن الأستاذ لن يلقى اليك كلمة واحدة غير ما فى كتابك . و برغم هذا يجب أن تكتُب كل ما يُلقى عليك حرفاً بحرف ، كأنك تتلقى درسك من الروح القدس .

التلميذ

سأحفظ نصيحتك هذه فى أعماق صدرى . وأنا أعلم أن كل ما يسطره المرء بالمداد الأسود على الصحائف البيضاء خير ذُخْر يقتنى .

ابليس

اذن فاختر لنفسك احدى الكليات .

التلميذ

دراسة الحقوق لا تلائمنى .

ابليس

أمرٌ لا تؤاخذ عليه . . وأنا أعرف حالة ذلك العلم معرفة تامة . . فما الشرائع والقوانين سوى أمراض مزمنة متوارثة تركها لنا آباؤنا وأجدادنا ، وأسلمها السلف للخلف ؛ فتنتقل عدواها من جيل الى جيل ومن بلد الى بلد ؛ و بمضى الزمن تصبح حكمتها خرافة وصالحها خبيثاً . . والويل لنا ما دمنا أحفاداً لأولئك الأجداد الذين أورثونا حقوقهم وقوانينهم . أما الحقوق التى تولد معنا حين نأتى الى هذا العالم فضائعة لا يطالب بها أحد .

التلميذ

أرانى ازددت لها كرهاً بعد الذى سمعته منك ؛ فيا سعادة من تكون له مرشداً وهادياً . فما قولك فى دراسة الفقه وعلوم الدين ؟

ابليس

أريد ألاَّ تَضِلَّ السبيل . فهذا العلم صعب المسلك ؛ وسرعان ما يضل فيه

الطالب . وقد امتزج فيه الشهد والسم الزعاف امتزاجاً يتعذر معه أن يميز المرء بين الدواء الشافى والسم القاتل .

وخير سبيل تسلكه فى هذا العِلم هو أن تصغى بانتباه لكل ما يقوله الأستاذ ثم تردده لنفسك وتكرره أمام الناس . وفى كل المسائل : عويصها وسهلها ، تمسك بالألفاظ ؛ وتعلَّقْ بأهداب العبارات — فانها أسلم منهاج يوصلك الى كعبة الحق واليقين .

التلميذ

لكن لا بد للكلام من معنى يؤديه .

ابليس

لا بأس . وانما يجب على الانسان ألا يفقد ثقتــه بنفسه . فكثيراً ما يُعْوِز المعنى فتجد لديك من الألفاظ الحسان ما فيه الغناء . والألفاظ هى المحور الذى تدور عليه المحاورات ؛ والسلاح الذى تفوز به فى مواقف الجدال . و باللفظ تبنى القواعد والمذاهب . فثق بأهمية الألفاظ ؛ واحرص عليها الحرص كله .

التلميذ

سامحنى ؛ ان ضايقتك بكثرة الأسئلة . هل تتكرم بأن تقول لى كلمة عن علم الطب ! لقد سمعت أن مدة الدراسة ثلاث سنوات . ثم ذكرت أن بحر هــذا العلم فسيح شاسع . فأخذتنى الدهشة . وحبذا لو بَيَّنْتَ لى السبيل ؛ وأوضحت لى أقوم طريق أتبعه .

ابليس (لنفسه)

حسبى تكلمت حتى الآن بتلك اللهجة العقيمة . ولأرجع لأصلى واتكلم كما يتكلم الأبالسة .

(بصوت عال) سهل عليك أن تفهم روح علم الطب وسرّه . بعد أن تدرس علوم الأوائل والأواخر وتفهم حقائق العالمين الأصغر والأكبر تترك حبل الأمور

على غاربها ؛ وتسلم كل شيء للقضاء والقدر . وعبثاً تحاول أن تسبح فى بحار العلوم والفنون ، فما يمكن للمرء أن يعلم الا ما يستطيع أن يتعلم — وانما رجل الدنيا من عرف كيف ينتهز الفرصة . وأنا أراك قوى البنية ، كثير الجرأة . فان قدرت أن تكون كثير الثقة والاعتداد بنفسك فستكسب كذلك ثقة الناس أجمع .

تعلَّم بنوع خاص كيف تسوس النساء . فان عِلَلَهن وأوجاعهن — على كثرتها وتنوعها — تعالج كلها بطريقة واحدة . وحسبك أن تتصف بالشرف وكتمان الأسرار فيصبحن جميعاً فى قبضة يدك .

لكن لابد لك من احراز لقب فى العلم حتى يكون لهن من هذا دليل قاطع على تفوقك . ثم تصبح وقد أحرزت مِنْهنَّ ما عجز الآخرون عن ادراكه طوال السنين .

تعلَّم كيف تجس نبضهن الصغير ؛ مُلْقِياً عليهن نظرات يشتعل فيها لهيب الخبث والمكر ؛ مُطوِّقاً خصرهن النحيل بذراعك لتعلم أن كان النطاق مشدوداً ومُجهداً لأجسامهن .

التلميذ

هذا لعمرى أحب الى نفسى . وهنا أرى الغاية واضحة والطريق المؤدية اليها

ابليس

ان النظريات كلها عتيقة بالية وأما شجرة الحياة فيانعة خضراء .

التلميذ

أقسم لك أنى من شدة السرور فى حلم .

فهل تسمح لى مرة أخرى أن أرجُوَك لتتفضل على بحكمة من حكمك الغالية ودرة من كنوزك ؟

ابليس

لك منى ما أقدر عليه .

التلميذ

لا أستطيع أن أرجع أدراجى دون أن أقدم لك كناشتى هذه لتتفضل على بسطر تكتبه .

ابليس

عن طيب خاطر (يكتب ويرد الكراسة)

التلميذ

(يقرأ باعجاب)

Eritis sicut Deus, Scientes bonum et malum

ستبلغون مرتبة الآلهة وتميزون الطيب من الخبيث (١)

(يطوى الكراسة بأجلال وأدب ويخرج)

ابليس

تمسك بهذه النصيحة واتبع ما اشارت به خالتى الحية . وبرغم ماتزعم من اقترابك من مرتبة الآلهة ؛ فلسوف ترتعد فرقاً حين تسير فى تلك الطريق الوعرة

(يدخل فاوست)

فاوست

أين نذهب الآن !

ابليس

حيث يحلو لك . نشاهد اولا العالم الأصغر ثم العالم الاكبر (٢) ولا تسل عما

---

(١) هذه العبارة التى أوصى ابليس بها التلميذ هى كذلك العبارة التى قالتها الحية لكى تغرى حواء على الأكل من الشجرة — راجع سفر التكوين — الاصحاح الثالث

(٢) ذكر العالم الأصغر (ميكروكوزموس) والاكبر (ماكروكوزموس) كثيراً فى هذا الكتاب والعالم الأصغر هو الانسان فى مختلف احواله وأطواره . ففى الجزء الاول من كتاب فاوست يقود ابليس فريسته حيث يريه الناس وطباعهم ولذاتهم ونزعاتهم . وبهذا يريه العالم الاصغر أما فى الجزء الثانى فيريه شيئاً من العالم الاكبر وهو الكون العظيم اللانهائى الذى لا يحده زمان ولا مكان .

ستحسه من السرور وما تجنى من الفائدة .

فاوست

لكن ألا ترى أن لحيتى الطويلة لا يلائمها اللهو واللعب . وأكبر ظنى ان لن الاقى فى هذا السبيل أى توفيق . وأنا أجهل أساليب العالم الجهل كله . ولا أكاد أرانى بين أناس آخرين حتى تملكنى الحيرة والاضطراب . وتصغر نفسى فى عينى .

ابليس

يا صديقى كن ذا وثوق بنفسك تهن عليك كل هذه الشدائد .

فاوست

وكيف نخرج الآن من هنا ؟ هل أعددت المركبة والجياد ؟

ابليس

لا حاجة بنا الى هذا . فأنا أبسط عباءتى ثم نمتطى صهوتها فتشق بنا الجو وتسبح بنا فى الهواء . والأفضل ألا تحمل معك أمتعةً ثقيلة فتعوق طيراننا وسأهىء نسيما ناريًا ليحملنا . فان كنا خِفَافًا كان هذا أدعى الى السرعة .

ولتهنأ وتنعم بحياتك الجديدة .

— ٥ —

حانة اورباخ فى لايبزغ [١]

جماعة من الشاربين

ضفدعة

ويلكم ! ما لكم لا تشربون ولا تضحكون . وما لوجوهكم عابسة وجباهكم مقطبة ! لقد خمدت نار حميتكم وصرتم كالحطب الرطب لا ترجى منكم فائدة

براندر

أنت المقصر ؛ لماذا لا تأتينا بنكتة من نكاتك السخيفة أو فصل من فصولك الباردة ؟

ضفدعة

(يصب على رأسه خمراً) دونك ما تريد

براندر

حقيقة انك بارد جداً .

ضفدعة

أنت الذى طلبت الفصل البارد .

سيبل

الطرد جزاء من يعكر صفو مجلسنا بالمشاحنة والمشاكاة.هلموا فَلْنُغَنِّ ولنشرب

---

(١) هذه الحانة القديمة التى لم تزل موجودة الى يومنا اكتسبت شهرة غير قايلة أولا لأن فاوست كان يتردد عليها فى زعم كتاب القرون الوسطى الذين نقلوا الينا قصته ثانياً لأن غوتيه نفسه كان يكثر من ارتيادها وهو طالب فى جامعة لايبزغ . وجماعة الشاربين المذكورين فى هذا الفصل هم كذلك من الطلبة

ولنصح بملء أفواهنا . . . آه يا ليل !

ألتماير

أسعفونى بقطعة قطن : فقد كاد الملعون يخرق طبلة أذنى بصياحه .

سيبل

ويحك انى متى رن صوتى فى أركان هذا المكان وملأ بصداه الآذان فهنالك تحس لذة الطرب وتذوق حلاوة الغناء .

ضفدعة

بلا ريب ! ومن لم يعجبه هذا فَلْيولّنا ظهره . . هيه يا ليل . . !

ألتماير

(صائحاً) هيه يا ليل ! .

ضفدعة

ما شاء الله ! ان الحناجر منتظمة الأوتار .

(يغنى) يالَقَوْمِى عجباً مالى أرى دولة (رُوما)

لم تزل فى يومنا هذا كما كانت قديماً

براندر

قبحاً لك ولأنشودتك ! أتعكر علينا سرورنا بأغنية سياسية كريهة ! وما لك أنت والسياسة ؟ لو كنت تعقل لحمدت الله كل يوم على أن ليس لك فى دولة روما لا ناقة ولا جمل . . أما أنا فأرى أن أكبر مغنم لى هو أنى لست بقيصر ولا وزير . وان كان لا بد لنا من رئيس فلننتخب من بيننا رجلا نسميه « شيخنا البابا » . وأنتم تعلمون الصفات التى تؤهل الانسان وترفعه لمثل هذا المنصب الجليل[1]

(١) من عادة طلبة ألمانيا — أو كان من عاداتهم — الاجتماع للشرب فى نهاية السنة أو نصف السنة المكتبية . ومن شرب أكثر من غيره انتخبوه « بابا »

ضفدعة

(مغنياً)

انطلق نحو الحمى يا عندليب
حاملا ألفَ سلامٍ للحبيب

سيبل

لا ترسل للمحبوبة أية تحية . فانى لا أريد أن أسمع بمثل هذا . .

ضفدعة

بل أرسل لها التحيات والقبل بالرغم منك !

(يغنى)

افتحى الخدر لصب مستهامْ
جاء كى يلقاك والقوم نيام
ثم يمضى حين ينجاب الظلام

سيبل

تَغَنَّ بها ماشئت وامدحها ما استطعت ! وسيأتى وقت فأضحك منك وأسخر؛ ولا وأبيك لتخدعنَّكَ وتتلاعب بك كما خدعتنى من قبل . ولو كنت تعقل لأتحفتها بعفريت كالتيس الهرم . يقابلها عند ملتقى الطرق [1] أثناء عودته من نادى العفاريت فى بلوكسبرغ [2] فيلعب واياها ألاعيبه الجهنمية ويصرخ فى وجهها ويثب من حولها ؛ وهو يحييها تحية المساء.

أما من كان آدمياً من لحم ودم . فأطيب من أن تكون له بها علاقة . والطرد من بيتى هو أحسن تحية تنتظرها منى .

---

(١) من الخرافات الشائعة أن العفاريت تقابل الناس عند تقاطع الطرق

(٢) وبلكسبرغ هو أعلى جبال الهارتس Harz بألمانيا وهو ملتقى الشياطين فى عرف المعتقدين بالخرافات

براندر

(ضاربًا بيده على الخوان)

انتبهوا الى جميعاً ! وارعونى اسماعكم ؛ واعترفوا لى جميعاً بالحذق والدراية . فى وسطنا هنا أناسٌ عشاق ؛ ويجب علينا قبل انصرافهم أن نحييهم تحية جميلة كما هى العادة والعرف فأصغوا الى وسأغنيكم أنشودة من أحسن طراز وأحدثه . ولتكرروا المصراع الأخير من بعدى .

(يغنى) سكنت فى مخزَن المأكول فارَهْ ،
ذات مكر واحتيال وشطاره ،
أكثرت فى البيت نهباً واغاره .
لم تدع فيه من السمن أثاره
يا ذكى الفهم تكفيك الاشاره !

الكل (منشدين) يا ذكى الفهم تكفيك الاشاره !

براندر مرَّةً — عفواً — رأتها الطاهيه
وهى فى لحس الأوانى لاهيه
قالت . الآن اصبرى يا جانيه
سوف تصلين بنارى الحاميه
حينما تأتيك من جمرى شراره
يا ذكى الفهم تكفيك الاشاره !

دست السم لها وسط الدسم
وأتت فارتنا تجرى ولَمْ
تدر ما فى الغيب من هم وغم
إن حلو العيش تتلوه المراره
يا ذكى الفهم تكفيك الاشاره

الكل يا ذكى الفهم تكفيك الاشاره

براندر

لحست ما فى الأوانى بَنَهَمْ
وانثنت تصرخ من فرط الألم
أى حُزنٍ ؛ أى كربٍ ؛ أى هم !
باتت الفـارة فى طى العـدم
كل ربح سوف تتلوه الخســاره
يا ذكى الفهم تكفيك الاشاره

الكل يا ذكى الفهم تكفيك الاشاره

سيبل

ما لهؤلاء الطغام يفرحون ويطربون كأن تسميم الفيران المساكين فَنّ من أدق الفنون . وصناعة من أشرف الصناعات .

براندر

يظهر أن بينك وبين الفيران صداقة متينة .

ألتماير

ويك يا سمين البطن يا أصلع الرأس . كأن مصيبة الفيران قد أدخلت الرقة والحنان الى قلبك . أتراك تنتصر للفيران لأنها تحاكيك فى الغلظة والثقل .

(يدخل فاوست وابليس)

ابليس

أول ما يجب على أن آتى بك الى مواضع اللهو . لترى كيف سهل على القوم أن يمرحوا ويفرحوا . كأن أيام دهرهم كلها أعياد وكان السرور عليهم سرمد

فقليــل الفكاهة يسبب لهم الفرح الـكثير . . ومثلهم كمثل الهريرة التى تدور وتجرى وراء ذنبها لاهية لاعبــة وعلى شدة سرورها لاتعدو تلك الدائرة الضيقة التى

تدور حولها . وكذلك هؤلاء القوم . فما دام الشراب لا يسبب لهم صداعاً . وصاحب الحانة يسقيهم والدفع نسيئة . فهم فى سرور دائم! وانبساط لايشوبه انقباض .

براندر

أظنهما قادمين الساعة من السفر ؛ لما يبدو عليهما من الدهشة والاستغراب

ضفدعة

لعلك صادق فيما تقول . وأخالهما جاءا لرؤية (لايبزغ) تلك المدينة الجميلة التى تحاكى باريس حسناً وبهجة .

سيبل

ولكن من عساهما أن يكونا ؟

ضفدعة

دعونى واياهما ! فبكأس واحدة أستدرجهما وأستخرج سرهما من صدرهما كما تستخرج ثنايا الأطفال . وأكبر ظنى أنهما من أسرة شريفة لما يبدو عليهما من الكبرياء والتبرُّم بالعالم

براندر

وأنا أظنهما مناديين فى الأسواق وأراهنكم !

ألتماير

ربما .

ضفدعة

انظروا الآن كيف أعبث بهما .

ابليس

(لفاوست) ما أرى الناس يحسون وجود الشيطان ولو كان أقرب اليهم من حبل الوريد .

فاوست

حييتم أيها السادة

سيبل

شكراً لك على تحيتك
(ثم يهمس مشيراً الى ابليس) : ما بال زميله الآخر يمشي مشية الأعرج ! [١]

ابليس

أتسمحون لنا أن نجالسكم ؟ ان فى مصاحبتكم عوضاً للمرء عن كؤوس الصهباء الجيدة التى يستحيل أن نجدها الآن .

ألتماير

كأنك لترفك لا تجد لذة فى خمرتنا هذه .

ضفدعة

أخالك قد غادرت ريباخ [٢] فى ساعة متأخرة . اذ اضطررت للتخلف قليلا لتتناول الطعام مع (يوحنا) المغفل

ابليس

لقد مررنا به أثناء سفرنا اليوم . وتحادثنا معه ملياً فما كان أشد شوقه الى أقربائه و بنى عمه . وقد سألنا أن نبلغهم تحياته وأشواقه
(ثم ينحنى أمام ضفدعة)

ألتماير

(همساً) أرأيت أنه فهم ؟

سيبل

الرجل ذو مكر وخبث

---

(١) أصيب ابليس بالعرج فى زعمهم حينما سقط من السماء
(٢) ريباخ بلدة بقرب لايبزغ : وهى آخر مرحلة فى طريق القادم على لايبزغ

ضفدعة

انتظروا قليلا وسأتغلب عليه .

ابليس

أن لم أكن مخطئا فقد سمعناكم تنشدون أغانى جميلة . وهذه الدار يلائمها الغناء لأن الصدى يرن فيها من جانب لجانب

ضفدعة

لعلك من النابغين فى الغناء

ابليس

كلا ! أن بضاعتى فيه قليلة لكن حبى له كثير .

ألتمار

أنشدنا بعض ما عندك

ابليس

ان شئت كل ما عندى .

سيبل

لتكن أنشودتك جديدة ما دخلت أذناً قط .

ابليس

نحن قادمون الساعة من الأندلس بلاد الخمر والغناء .

(يغنى)

كان فيما مرَّ سلطانٌ خطير؛
وله فى القصر بُرغوث كبير .

ضفدعة

اسمعوا ! برغوث ! هل انتبهتم جميعاً لقوله ؟ مرحباً بالبرغوث من ضيف كريم .

ابليس

كان فيما مر سلطانٌ خطيرْ ،
وله فى القصر برغوث كبير .
كان يعلى فى الورى من شأنه
ويراعى قدره مثل ابنه .
فدعا خياطه يوماً لقصره
فأتى مستعجلا طوعاً لأمره
قال: هيِّء لى ثياب السندس
واكس برغوثى أبهى ملبس!

براندر

لا تنس أن تشددَ على الخياط كى يحسن قياس الثياب على قامة البرغوث . والويل له ان كانت السراويل ضيقة أو كانت أزرار القميص مخالفة لأحدث طراز .

ابليس

(مغنياً)

أصبح البرغوث فى أحسن حال
ينثنى عجباً و يمشى باختيال .
فى ثياب من حرير وقصب
يلمع الدرّ عليها والذهب .
فى بلاط الملك أمسى كالأمير .
مستجاب الأمر ذا شأن خطير .

بعد أن أحرز ما يرجو لنفسه
أرسل استدعى له أبناء جنسه

فأتى يجرى أبوه اثر أمه
وأخوه وحموه وابن عمه
ملأوا القصر على من كان فيه
وغدا منهم نبيل ووجيه ؟
وأذاقوا أهله مر العذاب .
نغصوا الأكل عليهم والشراب :
أكثروا فى جسمهم قرصاً ولسعاً
وأذابوا جلدهم عضاً ولذعاً
ورجال القصر خافوا الآن إن هم
قاوموهم غضب السلطان منهم
أيهم يقدر أن يفتح فاه ،
والبراغيثُ جميعاً فى حماه ؟

الكل : (منشدين)

أيهم يقدر أن يفتَحَ فاهْ ،
والبراغيثُ جميعاً فى حماه ؟

ضفدعة

مرحى ! مرحى ! لعمرى لقد أحسنت !

سيبل

هكذا فليكن حظ كل برغوث فى العالم

براندر

مدوا أصابعكم وأمسكوهم .

الثماير

لتحى الحرية ! ولتحى الخمر

ابليس

وددت لو أنى أستطيع أن أشرب وإياكم كأساً تكريماً للحرية ؛ لولا أن خمرتكم ليست على ما يرام

سيبل

لا نريد أن نسمع هذه العبارة مرة ثانية

ابليس

لولا خشيتى أن يتألم صاحب الحانة لأتحفت هؤلاء الضيوف الكرام بهدية من الخمر المعتقة

سيبل

ائت بها وأنا المسئول

ضفدعة

اتحفنا بكأس مترعة تنلْ منا الشكر والثناء . ولا تأتنى بالشىء القليل . لأنى إذا أُرِيدَ منى أن أكون حَكَما فلا بد لى أن أملأ فمى و بلعومى

التماير

(همسا) صدق ظنى فهما تاجرا خمر من اقليم الرين

ابليس

ائتونى بِمِثْقَب !

براندر

وما تصنع بالمثقب ؟ هل تركت الدنان عند الباب ؟

التماير

وراءك مخلاة لصاحب الحانة فيها كثير من الآلات

ابليس

(لضفدعة) قل لى أى نوع من الخمر تريد

ضفدع

وهل لديك من كل نوع ؟

ابليس

أترك لكم الخيار ؛ وليطلب كلٌّ ما يشاء .

ألتماير

ويك يا ضفدعة لقد بدأت تلعق شفتيك ؟

ضفدعة

ما دمت تركت لى الخيار ؛ فانى أريد كأساً من نبيذ (الرين) : اذ أحب شيء الى هو ما ينبته الوطن المحبوب .

ابليس

(يقترب من ضفدعة ويثقب أمامه فى جانب المائدة ثقباً)

احضروا لى قليلا من الشمع لأصنع منه سِدَادات .

ألتماير

هذه هى الشعوذة بعينها .

ابليس

(مخاطباً براندر) وأنت ماذا تشتهى ؟

براندر

أنا أشتهى نبيذ (شامبانيا) بشرط أن يكون من خير ما عصر العاصرون

(يثقب ابليس أمامه ثقباً ويسده بالشمع)

لايمكن للانسان أن يتباعد عن كل شيء أجنبي . فكثيراً ماتكون مُشْتَهيات النفس فى بلاد بعيدة . والالمانى الصميم يستثقل كل رجل فرنسى . أما الخمرة الفرنسية فيشربها بشهوة .

سيبل

أما أنا فلا أحب الخمرة المرة . ويجب أن تعطينى أطيب الخمرة وأحلاها .

ابليس

(يثقب فى المائدة ثقباً أمام سيبل) ستملأ كأسك بما تهواه نفسك .

ألتماير

مهلا أيها السيدان ! حسبكما لا تسخرا منا .

ابليس

ما يجرؤ أحد أن يسخر من سادة أمثالكم . والآن أسرع وأجبنى ، أى صنف من الخمر أقدم لك ؟

ألتماير

أريد من كل صنف ؛ فلا تكثر الأسئلة .

(يثقب ابليس أمامه ثقبا ويسده)

ابليس

(مشيراً بيده اشارات غريبة)

تنمو الأعناب على الكروم . والقرون على رأس التيس . وما الكرمة الا خشب وهذه المائدة الخشبية ستخرج لنا خمراً .

تأملوا فى عجائب الطبيعة .. وآمنوا بهذه المعجزات ..

الآن أخرجوا السدادات واشربوا أطيب الخمر .

الكل

(يخرجون السدادات ويملأون أقداحهم بما طلبوه من الخمور)

يا حُسْنَه ينبوعاً يفيض علينا وما يغيض

ابليس

لكن احذروا كى لا يسقط على الأرض من الخمر شىء .

الكل

(يشربون مراراً ويغنون)

نحن في لعب ولهو　　وسرور لا يريم ،
نحتسي الخمر كأنا　　ألف خنزير عظيم .

ابليس

(لفاوست) أترى هؤلاء القوم الأحرار ! كيف ينعمون ويطربون ؟

فاوست

وددت لو نغادر هذا المكان .

ابليس

انتظر حتى تراهم بعد قليل وقد ملكتهم نشوة الخمر ولعب السكر بالبابهم .

سيبل

(يشرب من غير اكتراث فيقع بعض الخمر على الأرض ويخرج منها لهيب)

المعونة ! النار ! سعير جهنم !

ابليس

(مخاطبا اللهيب) اهدأ أيها العنصر الحبيب !

(مخاطباً الجماعة) لم تكن هذه غير شعلة صغيرة من النار المطهرة .[١]

سيبل

ويلك أي شيء فعلت ؟ انتظر حتى أريك عاقبة فعلك هذا !

أجهلت من نحن ؟

ضفدعة

الهلاك لك ان عدت لمثل هذا الأمر !

---

(١) أي النار التي تطهر من الذنوب في عرف النصارى

ألتماير

أرى أنه يجب أن ينسحب من هنا بسكون .

سيبل

ما هذا ؟ أهنا تتجاسر على أن تسلط علينا ألاعيبك الشيطانية ؟

ابليس

اسكت يا خابية النبيذ .

سيبل

اخسأ يا عصا المكنسة ! أتجرؤ أن تجابهنا بهذه البذاءة ؟

براندر

انتظر وستهمى شآبيب الصفع والضرب .

ألتماير

(ينزع السدادة من ثقب الخمر فيخرج منه لهيب)

النار ! النار ! انى أحترق .

سيبل

ويل للساحر الفاجر ! أهجموا فقد أصبح دمه هدراً

ابليس

(بشكل جدِّى)

سحرى وشدة مكرى   تضل كل جنان !

كونوا بغير توان   فى غير هذا المكان !

(يقفون كلهم حائرين ينظر بعضهم الى بعض)

ألتماير

أين أنا ؟ ماهذه الارض الجميلة ؟

ضفدعة

أحقول كرمٍ هذه التي أراها ؟

سيبل

أهذى عناقيد العنب على مقربة من يدى ؟

براندر

وانظُرْ تحت هذه العريشة تَرَ أغصان الكرم وعليها أحسن العناقيد .

(ثم يمسك بأنف سيبل والآخرون يمسك كل واحد منهم بأنف صاحبه)

ابليس

الآن فلينكشف الغطاء عن أبصارهم ولينظروا كيف يداعبهم الشيطان .

(يختفى هو وفاوست فيستفيق الآخرون)

سيبل

ما ذا جرى ؟

ألتماير

ما هذا ؟

ضفدعة

أهذا أنفك الذى أمسكته ؟

براندر

وهذا أنفك مازال بيدى .

ألتماير

انها لضربة شديدة أصابت سائر أعضائى . ناولنى كرسياً فقد خارت قواى .

ضفدعة

لكن قل لى كيف حدث هذا الأمر ؟

سيبل

وأين هرب الملعون ؟ لو لقيته الآن لطيرت روحه من جسده .

ألتماير

بعيني رأيته خارجاً من الباب وهو راكب على باطية النبيذ .
أشعر بثقل شديد في رجلي . . (يقترب من المائدة) ترى لم يزل في المائدة خمر ؟

سيبل

وهل كان الأمر كله الا خداعاً وغشاً وسحراً باطلا ؟

ضفدعة

ومع هذا فقد خُيِّلَ لي أني أشرب نبيذاً .

براندر

ثم ما خطب تلك العناقيد

ألتماير

بالله قل لي ! أبعد هذا لا يؤمن المرء بالمعجزات ؟

— ٦ —

مطبخ الساحرة (١)

فى جانب من الغرفة قدر على وجاق تغلى ؛ ويتصاعد منه بخار تبدو فيه صور وأشكال شتى ويجانب النار قردة تجمع الرغوة من القدر وتراقبها كى لا تطفح . وعلى مقربة منها القرد . وحوله صغاره تتدفأ . وعلى الجدران وفى أركان الغرفة أدوات سحر غريبة متنوعة

ابليس وفاوست

فاوست

ان نفسى تمج هذه السخافات وهذا السحر ! وعجيب أنك تزعم أنى سأجد شفائى وسط هذه الشعوذة وفى هذا المكان الكريه !

أألتمس الدواء لدى عجوز شوهاء وأسألها أن تساعدنى بعقاقيرها القذرة كى ترجعَ الى شبابى وأعود أصغر مما أنا اليوم بثلاثين عاماً ؟

فياويلى ان لم يكن لديك وسيلة غير هذى أنال بها مقصدى ! لقد عاد اليأس فاستولى على . . . وعجيبٌ أن ليس فى العالم ذلك البلسم المنشود . وأن قوة الذكاء البشرى ما برحت عاجزة عن الوصول اليه .

ابليس

أراك رجعت الى التكلم بعقل وحكمة ؛ فاعلم أن هناك واسطة أخرى تصير بها شاباً فتياً . . ولكنها بعيدة عما نحن بصدده الآن . ومكتوبة فى سفر غير هذا السِّفر وقصّتها قصة غريبة.

---

(١) لم يستطع ابليس أن يؤثر فى فاوست وفى نفسيته باقتياده الى تلك الحانة . فرأى أن لابد من احداث تغيير كبير فى حالة فاوست الجثمانية . فأتى به الى احدى الساحرات لكى يحصل له منها على شراب يعيد اليه شبابه ؛ ويجعله أصغر مما هو بثلاثين عاماً .

فاوست

أريد أن أُلم بها .

ابليس

الواسطة المذكورة تنيلُك بغيتك من غير مال ولا سحر ولا علاج . . تنطلق الآن الى الحقول وتحمل فأسك على كاهلك . ثم تنهمك فى الحفر والحرث . وتحصر ذهنك وفكرك فى دائرة ضيقة . وتغتذى بأخشن الأطعمة وأبسطها . تعيش وسط البهائم كأنك بهيمة . وتعمل فى حقلك وتشقى ؛ حتى تحصد ما زرعت . مثل هذه الحياة تعيد اليك شبابك ولو كنت شيخاً هرماً مشتعلا رأسك شيباً .

فاوست

ما تعودت مثل هذا الأمر . ويدى لا تستطيع حمل الفأس . وأما أن أحصر فكرى فى دائرة ضيقة فهو ما لا أطيقه .

ابليس

إذن لابد لنا من الاستعانة بالساحرة .

فاوست

لكن ما الذى يدعونا للالتجاء الى العجوز ؟ أما تقدر أنت أن تهيىء هذا العلاج ؟

ابليس

ما أحسنها تسلية لو كانت من السهولة بحيث تتصور ! . أهونُ على أن أبنى ألف جسر ضخم من أن أصنع هذا العلاج . أنه عمل لاتكفى فيه المعارف والعلوم . بل لابد للمرء من الصبر والجلد . ويجب أن تظل بجانبه العام بعد العام وتنتظر حتى يختمر على مرّ الدهور . والزمن وحده هو المساعد على تكوين هذا العلاج . فأنّى للشيطان هذا الصبر الطويل وتلك المقدرة على الانتظار .

أما جميع ما يلزم لهذا العلاج من المواد الغريبة والعقاقير النادرة فالشيطان يهدى الساحرة اليها . ولكنه اعجز الناس عن صنع الدواء ،

(يلتفت الى الحيوانات)

أنظر الى هذه المخلوقات الجميلة ! هذا هو العبد وتلك هى الجارية. إن سيدتكم ليست فى الدار ؛ فأين ذهبت ؟

الحيوانات

خرجت من المدخنه ؛ وذهبت الى الوليمة !

ابليس

وهل تغيب طويلا ؟

الحيوانات

بقدر ما نصطلى ونتدفأ .

ابليس

(لفاوست) أما أعجبتك هذه الحيوانات اللطيفة ؟

فاوست

هى أبشع وأقبح ماوقعت عليه عينى .

ابليس

أحب شىء الى هو التحدث الى امثالها

(للحيوانات) ويحكم أجيبونى ! ماذا تطبخون فى هذه القدر ؟

الحيوانات

نطبخ مرقاً للفقراء والمساكين !

ابليس

حقاً أرى المحتاجين قد تزاحموا على بابكم .

القرد

(يتقدم نحو ابليس متملقا اياه)

أنعم على بمـال فالفقر هدّ حيالى
لو صرت يوماً غنياً لحزت أقصى المعالى
أن لم يكن لى عقل فالمـال يستر حالى

ابليس

لو كانت الحظوظ تصيب القردة كما تصيب غيرهم ؛ لكان لهذا القرد مطامع وآمال .

(فى هذه الآونة يأتى القردة الصغار بكرة كبيرة ويلعبون بها ويدحرجونها)

القرد

هذه الدنيـا تراها فى هبوط وصـعودْ
ما لهـا قط ثبات ما لها الدهرَ ركود
تعد الناس وما صحـــت لها الدهر وعود
للبـلى هذى البرايا للفنا هذا الوجود
سل قبور الأرض كم من أمم فيهـا رقود
قد ثوى الاحفاد والآ باء فيهـا والجدود
ومتى كنت من الترب فـللترب تعـود
فسواء حظك اليـوم نحوس أم سـعود

ابليس

ولـكن ما هذا الغربال ؟

القرد

(يتناول الغربال بيده) لوكنت لصاً لعرفت خفايا أمرك الساعة .

(ثم يجرى الى القردة ويجعلها تنظر من وراء الغربال)

انظرى من هذا الغربال ! وقولى هل ترين اللص وهل تعرفين اسمه ؟

ابليس

(مقتربا من النار) وما هذه القدر

القرد والقردة معاً :

يا لك من أبله ! ألا تعرف هذه القدر ؟ أما تعرف هذا الوعاء .

ابليس

تبا لك من حيوان سيء الأدب .

القرد

خذ هذه الخرقة واجلس على هذا الكرسى .

ثم يضطر ابليس للجلوس

فاوست

(وكان فى هذه الأثناء واقفا أمام مرآة يقترب منها حينا ويبتعد عنها حينا ويرى فيها صورة جميلة)

ويحى ماهذا الذى أراه ؟ أى صورة سماوية تبدو لعينى فى هذه المرآة المسحورة ؟ أيها الحب ! أعرنى أقوى ما لديك من الاجنحة فاطير بهما الى هذه الفاتنة فأنعم بلقائها وألذ بقربها !

أرانى كلما انتقلت من المكان الذى اقف فيه الآن واقتربت من المرآة محاولا الدنو من هذه الصورة الماثلة أمامى احتجبت عن ناظرى كأنما تتوارى خلف الغمام .

وما أحلاها صورة وابهاها ! أيمكن لامرأة أن تحوز كل هذا الجمال ؟ أم ترى أن ما فى السموات من الحسن قد تجمع كله فسكن فى هذا الجسم الماثل بين يدى؟ والا فأنّى لهذا الثرى أن ينبت مثل هذا الحسن الرائع ؟

ابليس

ولِمَ لا ؟ ألم يشتغل ربك ستة أيام فى صنع هذا العالم ؛ حتى أنه هو قد أعجب به أى اعجاب (١) ؟ واذا كان الرب أجاد صنع شىء فهل يكون الا بالغاً الغاية التى ليس وراءها غاية ؟

والآن أنعم النظر فى هذه الصورة المليحة . حتى تطفئ غليل قلبك الحائم ؛ وأنا أعلم أين آتيك بمثل هذا الكنز الثمين . وسعيدٌ لعمرى من ساعده الجد فحظى بعروس كهذه العروس وأحرز مثل هذه اللؤلؤة المكنونة .

(فاوست يديم النظر الى المرآة متأثراً : وابليس يلعب بالخرقة التى فى يده)

أنا هنا جالس على هذا الكرسى كالملك فوق عرشه ؛ وهذه الخرقة صولجانى. وما يعوزنى الآن الا التاج .

(هنا تتناول الحيوانات الصغار تاجا وتأتى به الى ابليس)

يا أيها المولى الذى له المقام الأرفع
جئناك بالتاج الذى فيه اللآلى تلمع .

ـ ثم يعدون ويثبون والتاج بيدهم فيسقط وينكسر

الحيوانات

يا ويحه قد انكسر قضى بذلك القدر
لم يغن من ذاك الحذر

فاوست

(محدقاً بالمرآة) ويلى لقد كدت أن أجن جنوناً

ابليس

وأنا كذلك قد بدأ رأسى يدور .

(١) اشارة الى ما جاء فى سفر التكوين (الاصحاح الأول) « ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جداً »

الحيوانات

أما علمت أننا أشعر من فوق الثرى
لنا قوافٍ عذبة كأن فيها سكرا
ان لم تجد معنًى لها فذاك دأب الشعرا

ابليس

هذا اعتراف بالحقيقة ولئن لم تكونوا أشعر القردة . فأنتم بلا ريب أصدق الشعراء .

فاوست

أحس صدرى كأنما أخذت تتأجج فيه النار . فأسرع بنا من هذا المكان

(هنا تطفح القدر التى أهمل القردة مراقبتها ؛ فيفيض ما فيها على النار ؛ ويخرج منها لهيب هائل يرتفع الى المدخنة . فعندها تنزل الساحرة من المدخنة وتخرج من وسط اللهيب وهى تصرخ صراخا مزعجا)

الساحرة

أواه ! أواه ! بعداً لك أيها الحيوان الملعون وسحقاً ! ويلك أما تعلم أنك باهمالك القدر كدت تحرق بدنى ! يالك من لعين .

(ملتفتة الى فاوست وابليس)

وأنتما ماشأنكما ؟ وما الذى تريدان ؟ وما أتى بكما الى هنا ؟

لأحرقن عظامكما بنيرانى .

(تملأ المغرفة من القدر وتنثر بها اللهيب على فاوست وابليس والحيوانات ؛ فتئن هذه متألمة)

ابليس

(يضرب بالحرقة التى بيده بعض الزجاجات ، والاوانى فيكسرها)

تحطمى ! تهشمى ! انكسرى نصفين !

هذا جزاؤك أيها العجوز الشمطاء !

(هنا تتراجع الساحرة متذعرة مندهشة)

ويلك هل عرفتنى الآن أيها الهيكل العظمى ؟ أعلمت من أنا أيتها الرمة البالية ؟

أرأيت أنى أنا سيدك ومولاك . وأَسْهِلْ علىَّ بأن أمحوك من الوجود أنت وعصبتك وقردتك ؟ أما عدت تعظمين هذا الكساء الأحمر ؛ ولا هذه الريشة السوداء التى فوق قلنسوتى ؟ وهل أخفيت وجهى عن الأبصار فلم تبصرينى ؟ أم تحسبين أنه لابد لى أن أعرفك بنفسى ؟

الساحرة

مولاى اغفر لى ان لم أحسن استقبالك ! فما عرفتك لاول وهلة لأنى لم أبصر لك حوافر الخيل المعهودة ؛ ولا الغُرابين الذين ألفنا أن نراهما معك

ابليس

عفوت عنك هذه المرة . لأننا والحق يقال لم نجتمع منذ زمن بعيد . فاعلمى ويلك أن الحضارة التى تلوث بها العالم كله قد امتد نفوذها حتى الى الشيطان ؛ فلم يعد أحد يرانى فى تلك الصورة الشمالية [1] وقد أصبحت وما لى قرون ولا ذنَب ولا مخالب . أما أقدامى فلا غنىً لى عنها . ولكنى خشيت أن ينالنى بعض الأذى من جرائها فاضطررت لاخفائها ولبست أرجلا مستعارة كما يفعل الكثير من أبناء هذا الزمان

الساحرة (وهى ترقص فرحاً)

ان أكن قد فقدت حسى ورشدى   فلأن النبيلَ ابليس عنـدى

ابليس

ويلك لا تسمينى بهذا الاسم .

---

(١) الصوة الشمالية هى صورة ابليس ومعه الغرابان وذلك أن سكان شمال أوروبا كانوا يزعمون أن لابليس غرابين لا يرى الا وهما معه .

الساحرة

لماذا ؟ هل ساءك هذا الاسم بشيء ؟

ابليس

هذا اسم قد طرح فى زوايا النسيان ؛ وأصبح الناس يعتقدون أنْ ليس أمرُ الشيطان الا حديث خرافة . على أن انكارهم هذا لم يصلح من شأنهم ، ولم يهدهم سبيل الرشاد . بل هم ، على العكس ، أنكروا وجود شيطان واحد فنبغ من بينهم من الشياطين ما لا يدركه العد .

أما أنا فسمينى البارون ؛ فأنا اليوم رجل من كبار الفرسان عريق فى الحسب والنسب ويجرى فى جسدى دم الأشراف النبلاء ؟ أما إنْ سألت عن شعار أسرتى فهأنذا أريك أياه .

(ثم يأتى بحركة قبيحة)

الساحرة

(تقهقه ضاحكة) ها ! ها ! لعمرى انك لكما عهدتك ماجن فاجر حلو الفكاهة

ابليس

(لفاوست) ياصديقى تعلم هذه الأمور، فهذه هى الخطة التى ترضى بها الساحرات

الساحرة

والآن قولا أيها السيدان ما خطبكما ؟

ابليس

جئنــا نطلب منك كأساً من ذلك العصير المعهود . لكنى أسألك أن تعطينا أقدم ما عندك ؛ فان مر السنين يضاعف من قوّته

الساحرة

عن طيب خاطر . هنا زجاجة أعتز بها وأحرص عليها ؛ وأنا نفسى أتناول منها جُرْعَة بين آن وآن ولم يعد بها أدنى رائحة كريهة . وسأملأ لكما منها قدحاً .

(همسا لابليس) لكنك تعلم أن هذا الرجل ان تناول الشراب ولم يكن لديه الاستعداد الكامل فلن تمضى ساعة حتى يصبح جثة هامدة .

ابليس

انه من خيار أصدقائنا ؛ وسيستفيد من الشراب أجل فائدة . ويجب ألا نبخل عليه بأجود ما عندنا . فهلمى الآن ارسمى دائرتك المعهودة ، واقرئى من العزائم ما تريدين قراءته ثم ناوليه كأساً مترعة .

الساحرة

(ترسم دائرة كبرى ؛ وتضع فى داخلها أشياء شتى وأوانى مختلفة ؛ فعندذلك تبدأ الزجاجات والاوانى ترن وتحدث أصواتاً موسيقية ؛ بعد هذا تجىء الساحرة بكتاب ضخم وتدخل القردة فى الدائرة وتضع الكتاب فوق أحدها . ويمسك الآخرون المشاعل بأيديهم ؛ ثم تشير الى فاوست أن يدخل الدائرة)

فاوست

(لابليس) أجبنى ويحك ؛ مافائدة هذا كله ؟ هذه الأعمال الكريهة والاشارات الجنونية والشعوذة الممقوتة أعرفها جد المعرفة وأبغضها أشد البغض .

ابليس

هذه فكاهة لا يقصد منها سوى التسلية والضحك ؛ فتساهل فى هذا الأمر . ان العجوز تريد بتلك الهمهمة والتمتمة أن تريك أنها من نُطُس الأطباء . وأن الدواء سيكون سائغاً والشفاء عاجلا .

(ثم يدخل فاوست الى الدائرة كرها)

الساحرة

(تشرع فى قراءة ما فى الكتاب بصوت عال ولهجة متكلفة

إفهم حديث السحره   من واحد لعشره
دع اثنتين تذهبا   وخذ ثلاثا نجبا
وان أخذت الأربعا   تمسى غنياً أروعا

من ستة لخمس — قالت عجوز النحس
وسبعة ثمانيه — تدنى الأمور القاصيه
ما التسع الا واحده — والعشر الا جاحده
وان هذا سائره — جدول ضرب الساحره

فاوست

ما أراها الا تهذى هذيان المحموم .

ابليس

وهل أسمعتك الا النذر اليسير من بضاعتها ؟ وأنا أعرف كتابها هذا جد المعرفة فهو ممتلئ مفعم بهذه الترهات ؛ ولكم أضعت ساعات من وقتى الثمين احاول عبثاً أن أتفهم بعض مافيه . .

ان هذه المتناقضات المتقنة ليست سوى ألغاز ومُعَمَّيات خاوية ، يستوى فى فهمها الذكى والبليد . والاتيان بمثلها فنّ من الفنون التى مارسها الأوائل والاواخر وحيلة تذرعوا بها فى كل زمن وفى كل مصر ، فزعموا أن الثلاثة واحد وأن الواحد ثلاثة (١) فضللوا بالناس ؛ وانتشر الباطل وطويت الحقيقة . وتسنى لهم بهذه الوسيلة أن يتقوا فضول السائلين والباحثين اذ ليس فى العالم من يرغب فى مجادلة المجانين ومناقشتهم .

ومن عادة الناس اذا سمعوا كلاماً أن يتوهموا أنه لابد أن يكون ذا مغزى ومعنى وان لم تدركه أفهامهم .

الساحرة

انما العلم خفىٌّ — عن عقول الناس جدًّا
ناله قوم كسالى — لم يعانوا فيه جهْداً

---

(١) هنا يشير ابليس الى عقيدة الثالوث . ولم يكن غوتيه من المؤمنين بها . راجع شرح كالفن توماس على فاوست (ص ٣٠٧)

وكثير العقل محروم   وان كدَّ وجدّا

فاوست

تَبّاً لها ولما تأتى به من السخافات . لقد أوشك رأسى أن يتصدع وبت كأنى أسمع عصبة من المجانين يصرخون كلهم مرة واحدة ويهزون بأسخف الأقوال

ابليس

حسبك أيتها الساحرة الهائلة ! أسرعى فاملئى له الكأس حتى الحافة وأيقنى أنه لن يمسه منها أقل أذى . فلقد طالما اضطُرَّ لأن يسيغ ويبلع كل شىء غريب لكيما يحصل على شهاداته ودرجاته الكثيرة .

الساحرة

(تملأ القدح بالشراب فيتناوله منها فاوست . وحين يدنى الكأس من فمه يبدو بأعلاها لهيب صغير فيتردد فى الشرب)

ابليس

تشجع ولا تُحجِم ! وعما قليل يمتلئ صدرك فرحاً وطرباً . أتخشى لهيباً صغيراً بعد أن بت للشيطان صاحباً وخديناً ؟

(يشرب فاوست الكأس فتفك الساحرة الدائرة التى رسمتها ويخرج منها)

ابليس

والآن لنبرح هذا المكان اذ يجب ألا تستريح بعد شرب هذا الدواء

الساحرة

هنيئاً لك الجرعة التى شربت !

ابليس

ان كانت لكِ حاجة تريدين قضاءها فحدثينى عنها حين نلتقى فى ليلة والبورغ

الساحرة

(لفاوست) وهذى أنشودة جميلة لو تغنيت بها من آن لآن لأحدثت فى

صدرك انشراحاً ؛ وتركت فى نفسك أحسن أثر .

ابليس

أسرع بنا الآن ودعنى أريك السبيل . لا بد أن يسيل العرق على جسدك حتى تسرى القوة الى جسمك ظاهره وباطنه ويعود اليك شبابك الناضر . وأمامك فيما بعد متسع من الوقت للراحة والكسل . وسترى نفسك فى لمحة الطرف وقد اتقدت فى جسدك جمرة الشباب وجرى فى عروقك دم الصبي

فاوست

دعنى لحظة ريثما أنظر مرَّةً فى تلك المرآه ! ان مغنطيس حسن تلك المرأة يجذبنى بقوة لا تقاوم

ابليس

لاداعى لهذا ! و بعد قليل سأريك أجمل نساء العالمين فتراها وجهاً لوجه

(همسا)

لَعَمرى بعد أن سرت حُمَيَّا ذلك الشراب فى جسدك . فكل امرأة تراها حورية فتانة

— ٧ —

طـــريق

فاوست — ومرغريت مارّة

فاوست

أيتها الحسناء الشريفة الحسب ! أتأذنين لى أن أرافقك الى منزلك ؟

مرغريت

ما أنا حسناء ولا شريفة الحسب . وفى قدرتى أن أذهب وحدى الى البيت

(ثم تتخلص منه وتمضى)

فاوست

تباركت اللهم ! أى حسن هذا الحسن وأى ملاحة قد صُبّت على هذه الطفلة !

هل وقعت عين على مثل هذا الجمال ؟

يا عيون المها وطهر العذارى قد أسرْتِ النهى ففُكى الأسارا
يا خدودا تنير وسط الدياجى وترد الليلَ البهيمَ نهارا
يا شفاه المرجان هلا تبسمت لصب فى سحر حسنك حارا
يا شفاء الصدر الكليم أنيلى مغرماً لا يطيق عنك اصطبارا
أنفوراً منى ولله ما أحلاك لمّا أكثرت منى النفارا
افعلى ما أردت لا بد لى منك فأقضى من حبك الأوطارا

يدخل ابليس

فاوست

اسمع ! لابد أن تأتينى بهذه البنت !

ابليس

أى بنت تعنى ؟

فاوست

التى مرت من هنا منذ قليل

ابليس

تلك الفتاة ؟ لقد كانت آتية من الكنيسة حيث قال لها القسيس إنها بريئة من كل ذنب وان خطاياها قد غفرت . لله أبوها ! لقد مررت بها وهى راكعة أمام القسيس ؛ فألفيتها طفلة نقية طاهرة ؛ ذَهَبَتْ للاعتراف وما جنت فى عمرها ذنبا ؛ ولا خطرت لها المعصيةُ ببال

مثل هذا المَلَك ليس لى عليه سلطان

فاوست

ولم لا ؟ أليست قد بلغت الحُلُم ؟

ابليس

انك تتكلم كأنك من كبار الفاسقين ؛ الذين يقدمون على اقتطاف كل زهرة وجنى كل ثمرة . وهتك كل ستر وانتهاك كل حرمة ؛ لا يبالون بعفاف أو عصمة ولا يرعون فى شىء إلاًّ ولا ذمة . لكن لكل شىء حد ؛ ومثل هذه الأمور لا تجوز فى كل حين

فاوست

يا سيدى ومولاى الشريف العفيف ؛ دعنى من عواطفك ونصائحك ؛ وأقول لك باختصار ؛ ان هذه الفتاة المليحة ان لم تبت بين ذراعى الليلة فهذا فراق بينى و بينك . ولن أرى وجهك بعد اليوم أبدا

ابليس

فكر ويحك فيما يعترض مثل هذا الأمر من العقبات أقل ما يلزمنى من الزمن أربعة عشر يوما حتى استنبط الحيلة التى أجمع بها بينكما

فاوست

لو أنى أستطيع أن أهدأ سبع ساعات ، لما احتجت الى شيطان مثلك كى يساعدنى على اغواء مثل تلك الفتاة الساذجة

ابليس

ما شاء الله ! أراك تتكلم كأحد أبناء فرنسا . لكنى لا أرى داعية لانفعالك هذا . تدبر الأمر ملياً ! أى فائدة تجنيها وأى سرور تشعر به حين تنال لذتك لقمة باردة من غير عناء ولا مشقة ؛ شتان بين مثل هذا السرور و بين ذلك الفرح الذى يملأ صدرك حين ترى الصيد بعيد المنال صعب المرام فتنصب له الشراك ثم ترصد وتترقب : حتى اذا حان الوقت وعلق الظبى بالحبالة ؛ وثبت وثبة المنتصر واقتطفت الثمرة الحلوة وهصرت اليك الغصن الرطيب

فاوست

لى من قوة الشهية ما يغنى عن كل هذا

ابليس

أقول لك قولاً لا مزح فيه ولا جدل ؛ انه يستحيل علينا أن نبلغ من تلك الحسناء مرامنا بالسرعة التى تتوهمها ؛ الشدة والعنف لا يجديان نفعاً ؛ وانما يوصلنا المكر والاحتيال الى بغيتنا المنشودة

فاوست

ائتنى بشىء نفيس مما يليق اهداؤه للملائكة . ثم سر بى الى كناس ذلك الظبى . وأرنى مُستَقَرَّ تلك الفاتنة . وهناك فلتختلس لى من بين أثوابها وأمتعتها منديلا أو رباط جورب أو أثراً أدخره وأحرص عليه

ابليس

لكى أبرهن لك على شدة اخلاصى وأنى لا آلو جهداً فى ارضائك سأذهب

بك اليوم الى منزلها وأدلك على غرفتها .

فاوست

وهل أراها وألتقى بها ؟

ابليس

لا ! أنها ستكون فى بيت جارتها ؛ وفى أثناء غيابها يمكنك أن تخلو بنفسك فى حجرتها فتنشق من هوائها وتتنسم عبيرها ، وصدرك ملؤه الأمل بما ستنعم به فى المستقبل .

فاوست

وهل نذهب الآن ؟

ابليس

لم يحن الوقت بعد .

فاوست

يجب أن تأتينى بهدية نفيسة . (يخرج)

ابليس

أهدية الآن ولم نكد نخطو الخطوة الأولى ؟ حييت من بطل مقـدام ! إن مساعى فيك ستكلل بالنجاح .

انى أعرف أمكنة شتى كنت قد خبأت فيها منذ زمن بعيد كنوزاً نادرة . والآن فلأستجمع خاطرى ولأفكر قليلا .

(يخرج)

— ٨ —

فى المسـاء

حجرة صغيرة نظيفة

(مرغريت تضفر شعرها ثم تعقصه)

مرغريت

لَنْ أتردد فى بذل الشىء الكثير لكى أعرف من ذلك السيد الذى قابلنى اليوم فى الطريق . لقد كانت تلوح عليه سيما النجابة والنبل . وقد طلعت فى جبينه أنه من بيت شريف المحتد كريم العنصر . والا لما كان جريئاً بهذا القدر

(تخرج)

(يدخل ابليس وفاوست)

ابليس

ادخل بسكون وامش بتؤدة .

فاوست

(بعد قليل) أرجوك أن تغادرنى وحدى .

ابليس

(متأملا فيما حوله) لعمرى ليس لـكل فتاة مالها من حب النظافة والاتقان .

(يخرج)

فاوست

(ناظراً حوله) مرحبـاً بك ياضياء الشَّفَقِ ! وأهلا بك اذ تسكب نورك على هذا المسكن الأمين بل هذا الهيكل المقدس . . .

وأنت أيها الهوى المبَرِّح ! أيها العذاب العذب ! لقد شغفت منى قلباً كاد

يقتله حرُّ الظمأِ لولا قطرات من ندى الأمل . . .

أيّ سكون وأيّ صفاء قد خيما على هذا الدار ! وأى تنسيق بديع وأى قناعة ورضى ! وإنْ أعجب فعَجَبي لهذا الرخاء وسط الفاقة وللسعادة التى تملأ هذا السجن .

(يرتمى على كرسى كبير من الجلد بجوار السرير)

أجلس الآن على هذا الكرسى الذى طالما كان متكأً للآباء والأجداد ؛ يفتح لهم ذراعيه مُرَحّباً بهم فى أيام سرورهم أو محنتهم . وكم من مرة تبوأ رب الدار هذا العرش . وأقبل أبناؤه وأحفاده فأحدقوا به من كل جانب . ورب ليلة جاءت حبيبتى الى هذا الكرسى وجثت بين يدى جدها ولثمت كفه الذابلة وقلبها يطفح اجلالا وشكراً على هدية أهداها لها فى يوم عيد أو تحفة حباها بها .

حييت أيتها الفتاة ! انى لأشعر بروحك ، روح القناعة والتدبير وكأنه يهمس من حولى : ذلك الروح الذى يلهمك كل يوم كيف تقومين بتنسيق هذا المنزل وتجميله . ويعلمك كيف تبسطين الغطاء على المنضدة بهذا الاتقان وتنقشين فى الرمل الذى تحت قدميك رسوماً وأشكالا . (١)

بوركت أيتها اليد العزيزة ، التى تحاكى يد الآلهة ، لقد صيرت هذا الكوخ الحقير قصراً من قصور السماء . (يزيله ستراً من أستار السرير)

هذا المنظر يثير فى نفسى مزيجا من الرهبة والفرح . هنا يحلو لى البقاء ساعات طوالا !

على هذا السرير تسنّى لكِ أيتها الطبيعة أن تتعهدى هذا المَلَكَ الكريم وسط الأحلام الهادئة والخواطر البريئة .

هنا مضطجع تلك الطفلة ! وفوق هذا الفراش امتلأ صدرها الرقيق بحرارة الحياة . هنا تعهدتها العناية وكلأتها حتى نمت وترعرعت ، فاذا هى زهرة ملؤها

---

(١) اشارة الى عادة نثر الرمل فى الغرفة (حين لا توجد أبسطة) ؛ وكان يعد من زيادة الاتقان ألا ينثر الرمل بغير نظام بل بحيث يكون أشكالا ورسوما . .

الحسن والطهارة . . .

وأنت يا فاوست ! أى ريح قذفت بك الى هذا المكان الطيب ؟ أى خطب خطبك . وأى غرض جئت تنشده هنا ، ألعلك الآن قد بدأت تحزن وتندم . فياويحك يا مسكين ! لقد تبدلت وتغيرت حتى استحال على أن أعرفك . . .

أفى هذه الغرفة هواء سحرى قد أثر فىّ أبلغ تأثير ؟ لقد جئت هنا ولا همّ لى الا أن أتلذذ وأتمتع ، والآن لا أشعر الا بهجة تذوب وجداً . وفكر تطير به الأحلام كل مطار . فهل نحن من الضعف بحيث نتغير ونتحول كلما تغير الهواء وتبدل ؟

ويلى لو دخلتْ الساعة وداهمتنى وأنا فى حالتى هذه فما يكون خطبى وكيف أكفر عن ذنبى ! اللهم لا رأْىَ الا أن أركع أمامها وأكب على قدميها وأذوب بين يديها خجلا ووجداً .

(يدخل ابليس)

ابليس

أسرع بنا فانى أراها آتية

فاوست

هَلُمَّ بنا ولن أعود بعد اليوم أبداً .

ابليس

أتيتك بصندوق لا بأس به . فلنضعه بتؤدة حيث تحفظ ثيابها ، وانى أقسم لك أنها سيطير عقلها سروراً حين ترى ما فى هذا الصندوق . فان فيه من التحف ما يكفى بعضه لاستلاب فكر الكثيرات من النساء .

فاوست

لست أدرى هل أقدم على هذا الأمر ؟

ابليس

أتتردد ؟ ألعلك تريد أن تستبقى الحلى لنفسك ، فلئن كانت هذه نيتك فما كان أحراك أن تنتظر الى الصباح وتوفر على كل هذا العناء الذى قاسيته والوقت الذى ضيعته . . . على أنى لا أظن البخل قد بلغ بك هذا الحد . أما ترى ما اكابد وأعانى فى سبيل خدمتك .

(يضع الصندوق داخل الخزانة و يغلقها)

والآن أسرع بنا ، ولن يمضى زمن طويل حتى تحرز تلك اللؤلؤة وتنعم بها كما تشتهى . لـكن ما بالك عابساً مقطب الجبين كأنك داخل الى غرفة الدراسة وقد تمثلت أمامك الطبيعة وما وراء الطبيعة !

(يخرجان)

(تدخل مرغريت و بيدها مصباح)

مرغريت

ما بال هواء الغرفة حارا ممتلئاً بالبخار !

(تفتح النافذة)

على أن الهواء فى الخارج ليس حاراً ، أشعر بشىء من الضيق لا أعرف له سبباً . . . عسى أن تعود الآن أمى ، فان قلبى قد استحوذ عليه الرعب وما أنا الا فتاة ضعيفة القلب .

(تغنى وهى تخلع ثيابها)

كان فى أرض (طُلاَ) [١] مَلكٌ همام

طاهر القلب وَفِىٌّ بالذّمام

زَوْجُهُ أهدت اليه قدحا اذ رأت أن قد دنا منها الحمام

---

(١) اسم أطلقه القدماء على جزيرة أو جزر فى شمال غربى أوروبا . ولعلها جزيرة ايسلنده وكانت فى عرفهم هى نهاية العالم فى تلك الناحية . (Ultima Thule)

أخذ الكوب بصمتٍ وسكونْ
ورآها وهى فى أيدى المنون ،
منظرٌ تَدْمَى لمرآه العيون «رَبِّ عدلٌ منك! ماتقضى يكونْ»

كلما أدركه وقتُ الشرابْ
ملأ الكوب بحزن واكتئابْ
هاجت الذكرى جواه فجرى دمعُهُ بين انسجام وانسكابْ

ثم حال الدهرُ والدهر يحول
ورأى أيامه كادت تزول .
وأتتـه رسل الموت ، وهل دولة فى الناس الاستدول ؟

فدعا أبنـاءه يوماً وآله
وحبـاهم ملكه طرا وماله
قال : مُلكى كله اليوم لكم انَّنى قد حان حينى لامحاله .

واتركوا لى ذلك الكوبَ . فقد
طالمَا أذهب عن قلبى الكمد .
لا يلامس بعد موتى شفةً لا ينله بعد أن أقضى أحد ،

ورمى فى اليم ذاك القـدحا
وانقضى عهـد صباه وانمحى
لم يذق قطرة خمر بعـدها وصحا عنهـا ولأياً ماصحا .

وغدا والموت أشهى ما يرومْ
فهو يشفى قلبـه الدامى الكلوم
والردى أقصى أمانى تعس عيشهُ الدهرَ عذابٌ وهمومْ .

(تفتح خزانة الثياب لتضع ثوبها فتجد صندوق الحلى)

يا للعجب من أين أتى هذا الصندوق ، وقد أحكمتُ اغلاق الخزانة . انه لأمر عُجاب . ليت شعرى ماذا بداخله ؟ أظن أحد الناس استعار من أمى نقوداً وتركه لدينا رهناً ؛ وأرى مفتاحاً صغيراً معلقاً به فلأفتح لأرى ما فيه .

رباه ! ما هذا الذى أراه ؟ انى طول عمرى ما شاهدت شيئاً كهذا ! هذه الحلى يليق أن تلبسها أشرف النساء فى يوم عرسهن . ما أشد شوقى لمعرفة صاحبة هذا الكنز الثمين ! عجبا لو تقلدت هذا العقد هل يلائمنى ؟

(تتزين بما فى الصندوق من الحلى وتقف أمام المرآة)

آه لو كان هذا القرط البديع لى . اذن لكان لى مظهر غير هذا المظهر . وماذا ينفع الشباب والجمال حين يكون الجيد عاطلا . والجسد عاريا من كل زينة . . مسكينة من لم يكن لها مثل هذه الحلى ! ان مَدَحها أحد أو أثنى على جمالها فهو انما يتحسر عليها ، ولا عجب فما يجذب القلوب ؛ ولا يسحر الأبصار الا الذهب اللامع والجوهر البراق . والويل لنا معشر الفقيرات المعوزات .

— ٩ —

متـــنزه

فاوست يتمشى وهو يفكر— ثم يدخل ابليس

ابليس

أقسم بالعشق المُدَنَّس ! وبالعناصر الجهنمية المخربة ! وياليتى أعرف ما هو أنكى وأنكر من هذه الاشياء حتى أسب وألعن كما اشتهى !

فاوست

ماذا جرى ؟ لقد انقلب كيانك ومُسخت سحنتك ؛ وما رأيت طول عمرى صورة أقبح من صورتك الآن

ابليس

كنت أود أن يخطفنى الشيطان من هذا العالم لولا أنى أنا الشيطان !

فاوست

انك تهذى هذيان المجانين الكبار ؛ كأنما اختل دماغك وطار صوابك !

ابليس

تصورْ الكارثةَ التى نزلت !

الكنز الثمين الغالى الذى أهديناه لمرغريت بات الآن فى حوزة قسيس ! فان الأمَّ لما تناولته بيدها ونظرت اليه داخلها الرعب ، وملأ قلبها الشك . وهى امرأة حاسة الشم لديها قوية ؛ وأنفها مُلْصَق أبداً بكتاب الصلاة . وهى تشم بأنفها كل ما تقع عليه عينها . لتعلم أطاهر هو أم نجس . فحين رأت الصُّنَيْديق . أدنت منه أنفها لتشمه ؛ فعلمت عند ذلك علم اليقين أنه ليس من الطهارة بمكان عظيم . فقالت لفتاتها : « يا ابنتى ! المال الحرام عذاب للروح وتدنيس للجسم ؛ ورأيى أن نُقَرِّبَ هذا الكنز للعذراء الطاهرة . فنربح من ورائه المَنَّ والسَّلْوَى

فلما سمعت مرغريت هذه العبارة قطّبت قليلا ؛ كأنما ارادت أن تُذَكّر أمها بأن الشيء ، إن كان هدية ، فهو مقبول على علاّته ؛ وأن من يهدى مثل هذا الذخر لا يكون الا ممن امتلأ قلبه بالتقوى والايمان .

لم تبال الأم بنظرات البنت . وارسلت فاستدعت القسيس . فلما حضر وسمع القصة أعجبته ؛ وظهر على وجهه السرور وقال : يا ابنتى هكذا يكون التَّدَيُّن والصلاح . ومن قاوم الشهوة وحارب المعصية نال الفوز والنجاح .

أما الكنيسة فلن يضيرها هذا ، لأن لها معدة قوية : وكم ابتلعت ديارا وأقطاراً وأكلت الممالك بعد الممالك ؛ فما اشتكت من التُّخَمَة يوما ولا من عسر الهضم

الكنيسة وحدها يا ابنتى العزيزتين تستطيع أن تهضم المال الحرام

فاوست

هذا أمر شائع ، وكثير من اليهود والحكام قد استطاعوا هضم المال الحرام

ابليس

بعد هذا تناول القسيس تلك العقود والخواتيم ورمى بها فى جيبه بسكون كأنها أشياء تافهة حقيرة . ولم يبد على وجهه من الاهتمام أكثر مما لو كان الصندوق مملوءاً نُقْلا . ثم وعدهما الأجر من عند الله . فَتَلَقَّتا هذا الوعد بكل خشوع وتقوى!

فاوست

ومرغريت ؟

ابليس

استحوذ عليها الاضطراب فما تدرى أى شيء تصنع ؛ فهى تقضى الليل والنهار وهى تفكر حيناً فى تلك الحلى النفيسة وأحياناً فيمن أتى بتلك الحلى .

فاوست

ان حزنها يؤلمنى جداً . فالتمس لها حلياً أخرى أحسن من الأولى . لأنك فى المرة الأولى لم تأت بالشىء الكثير .

ابليس

أنت تحسب هذا الأمر ألعوبة هينة

فاوست

لا تطِل الجدال . وافعل ما قلته لك ! فلتهد لها حلياً جديدة ثم تذهب بعد ذلك الى جارتها ! ولتكن شيطاناً ماهراً .

ابليس

ليكن ما تريد وسأفعل هذا كله عن طيب خاطر .

(يخرج فاوست)

ابليس

يا عجباً لهذا العاشق الابله ! يود أن ينسف الشمس والقمر والنجوم جميعاً لو كان فى هذا بعض تسلية لمعشوقته .

(١٠)

بيت الجارة « مارتا »

مارتا (وحدها)

مارتا

سامح الله زوجى على ما ارتكبه من السيئات نحوى ! أيجمل به وأنا زوجته المخلصة الوفية ، أن يغادرنى فى هذه الدار وحدى ؛ أقضى السنين الطوال فى وحشة وعذاب فريسة للهموم والشجون وهو ما برح يسيح فى مناكب الأرض ويتنقل من بلد الى بلد . دون أن أخطر بباله لحظة . . . وماذا أجرمت وقد كنت مشغوفة حباً به وما اذكر انى أسأت اليه يوماً ما (تبكى)

ويلى ! ألعله قد مات ! فمن لى بشهادة تثبت وفاته .

(تدخل مرغريت)

مرغريت

سيدتى مارتا

مارتا

مرغريت ! ماذا جرى ؟

مرغريت

لا تكاد رجلاى أن تحملانى . قُواى خائرة وقلبى مضطرب . انى وجدت صندوقاً آخر من خشب الآبنوس مملوءاً بالهدايا السنية والتحف البديعة ويفوق الأول الف مرة .

مارتا

حذار أن تخبرى أمك هذه المرة لئلا تحمله الى القسيس فيصنع به ما صنع بالصندوق الأول .

مرغريت

آه ! أنظرى ما أحلاها !

مارتا

(وهى تقلد مرغريت بعض الحلى) لله ما أسعدك من فتاة !

مرغريت

لكنى و ياللاسف لا أقدر أن أظهرها للناس لا فى الطريق ولا فى الكنيسة

مارتا

تعالَىْ إلى كلما سنحت لك الفُرص ! وهنا — فى هذا المكان الأمين — تتحلين بهذه الزينة الجميلة ؛ وتسيرين مُتَبَخْتِرة أمام المرآة ؛ وفى هذا مايسر قلوبنا و يشرح صدرونا ؛ ثم ان حانت لنا فرصة فى يوم عيد فأظهرى للناس تلك الحلى قليلا قليلا .. أوّلا تقلدين جيدك هذا العقد الصغير . ثم تُحلين اذنيك بهذا القرط الدرى . ولن تعوزنا حجة تقنع بها أمك كى لا تدخل الريبة قلبها .

مرغريت

وهل تعلمين من أهدى لنا هذين الصندوقين ؟ إن قلبى مملوء قلقاً واضطرابا لهذا الأمر الخارج عن المألوف .

(يطرق الباب)

مرغريت

رباه ! أهذه أمى ؟

مارتا

(ناظرة من وراء الستر) لا أنه رجل اجنبى ! ادخل

(يدخل ابليس)

ابليس

التمس منكما الصفح عن جرأتى إن كان فى وجودى مايعكر صفاء اجتماعكما.

(يتراجع أمام مرغريت مظهراً كل تعظيم واجلال)

أردت السؤال عن سيدة مارتا شوردلين

مارتا

أنا هى ! فهل لديك ماتقوله لى ؟

ابليس

(همساً لمارتا) أما وقد عرفتك فلأ كتفى بهذا اليوم لأنى أرى عندك زائرة ذات حسب رفيع . فسامحينى على هذه الهفوة ؛ وسأعود اليك بعد الظهر .

مارتا (بصوت عال)

أعلمت يامرغريت أن هذا السيد يحسبك من بنات الاشراف ؟

مرغريت

هذا كرم منه وحسن ظن . وما أنا الا فتاة فقيرة ، وهذه الحلى ليست لى .

ابليس

واين تذهب الحلى بجانب هذا اللحظ الفاتك والحسن الفاتن . ما أسعدنى الآن بوجودى هنا .

مارتا

لكنك لم تخبرنى أى شىء أتى بك ؟

ابليس

ليتنى كنت قادراً أن أحمل اليك نبأ خيراً من الذى جئت به . لـكن ما الذنب لو تعلمين ذنبى . أن زوجك المرحوم توفاه الله وهو يقرئك السلام .

مارتا

مات ؟ هل ماتت تلك النفس الزكية ؟ ويلى قد مات زوجى فيا لتعسى !

مرغريت

لا تحزنى أيتها العزيزة ولا تجزعى !

ابليس

وها كما القصة المحزنة .

مرغريت

انى أبغض الحياة من أجل هذه الأحزان ؛ ومن مثل هـذا الرزء يقضى علىّ غماً .

ابليس

كل صفاء يعقبه كدر . ورب عسر بعده اليسر .

مارتا

قص علىّ حكاية موته .

ابليس

لقد دفن فى بلدة پادوا . وهنا لك استراحت عظامه راحة أبدية . فى بقعـة مباركة مطهرة فى جوار القديس انطونيوس .

مارتا

ألم تحضر معك شيئاً آخر منه ؟

ابليس

أجل ! أحمل اليك رسالة جليلة كلفنى ابلاغهـا اياك . فهو يستحلفك أن تسعى لدى القسيس لـكى يقرأ له ثلثمائة صلاة . وعدا هـذا فان المسكين لم يترك شيئاً قط .

مارتا

ماذا تقول ؟ أما أعطاك هدية توصلها الى ؟ ألم يترك لى تذكاراً أو حليـة أدخرها من بعده ؛ لعمرى ما هذا دأب الرجال . فان أحقر العمال ليختزن مثل هذا الشىء فى حقيبته ويحرص عليه الحرص كله . مفضلا أن يموت جوعاً على أن يفرط فى حقوق زوجه .

ابليس

يعز على أيتها السيدة الكريمة أن أرى حزنك وجزعك . لكنه لم يكن — علم الله — من المبذرين . وقد ندم المسكين أشد الندم على هفواته وزلاته . وتولاه الحزن الشديد على جده العاثر وطالعه المنكود .

مرغريت

واحر قلبى لبنى الانسان البائسين ! سأصلى ألف مرة على روح ذلك المسكين

ابليس

أولى لك — وأنت ربة هذا الحسن الفتان — أن تبادرى الى الزواج .

مرغريت

لا : هذا أمر غير ممكن بعد .

ابليس

ولم لا ؟ ان لم يكن حليلا فليكن مؤقتا خليلا . ولعمرى انه لمن أكبر النعم أن يضم انسان مثل هذا الجسم البديع بين ذراعيه .

مرغريت

ليس مثل هذا من عادة هذه البلاد .

ابليس

لكنه رغم هذا أمر كثير الحدوث

مارتا

أتمم القصة

ابليس

كنت بجانبه وهو على فراش الموت . وما كان فراشه القش الا مزيجاً من روث البهائم واضغاث من الحشيش العفن . فرحمه الله لقد مات كما يموت المسيحى الصميم ؛ موقناً أن امامه حسابا عسيراً .

تذكر المسكين وهو يحتضر أحبابه وأهله فآلمته الذكرى . وصاح بى : « انى لأمقت نفسى على ما قصرت فى واجبى نحو زوجتى العزيزة . فتعساً لى من شقى بائس ! أن تذكر هذا الاهمال يقتلنى ألما وندماً . فياويلى ان لم تكن زوجتى قد سامحتنى وعفت عنى

مارتا

(باكية) رباه ! انى سامحته وعفوت عنه منذ زمان

ابليس

ثم قال : « لكن يعلم الله أن زوجتى قد أذنبت الى أكثر مما اذنبت اليها »

مارتا

كذب وافتراء ! ياويحه أيكذب وهو على باب القبر ؟

ابليس

إن لم يخطىء ظنى فقد أصابه وهو فى نزعات الموت شىء من الخرف

قال لى : « أنى قضيت حياتى فى جد وسعى لـكى يتسنى لى أن آتيها بالاطفال ثم بالقوت . وتأبى على بعد هذا أن آكل لقمتى فى راحة وسلام . »

مارتا

وهل نسى أفراطى فى الحب واخلاصى البالغ حد النهاية . هل نسى أنه كان يعذبنى ويعنينى فى الليل والنهار ؟

ابليس

لا . إن هذا لم يبرح من فكره لحظة .

وقد حدثنى قائلا : « انى لما غادرت جزيرة مالطـة كنت لا أنفك أدعو لزوجتى ولأبنائى فى كل صلاة . وقد اسعدنا الجد . وبَسَم لنا الدهر . فصادفنا سفينة تركية مشحونة بالذخائر الثمينـة والـكنوز الغالية فكانت لنا غنيمة باردة فاستولينا عليها وأخذ كل ذى حق حقه . فنالنى منها حظ وافر .

مارتا

اصحيح ماذكرت ؟ أتراه قد خبأ ذلك الـكنز فى موضع ما ؟

ابليس

من يدرى ما صنعت به المقادير . كان زوجك يجوب بلدة نابولى فريداً غريباً فأحب فتاة حسناء كانت تصاحبه وترعى شئونه وأبدت له من المودة والحب ما جعله يذكرها حتى الممات .

مارتا

تَباً للمجرم ! سرق مال ابنائه وجر عليهم الفقر والشقاء . وعرضهم للحاجة القاتلة بمسلكه الشائن وعمله الدنىء .

ابليس

حسبه أنه قد مات . ولو كنت مكانك للبست عليـه الحداد عاماً كاملا :

وبحثت فى أثناء هذا العام عن عِرْس آخر .

مارتا

هيهات ! لن أجد فى العالم زوجا ثانياً يحاكى زوجى الأول . فقد كان عذب الروح حسن الطباع ؛ وهل كان عيبه الا أنه يحب السياحة فى البلاد البعيدة ؛ ويكثر من شرب الخمر ولعب القمار ومغازلة النساء الأجنبيات .

ابليس

أحبب بهذا الطبع لو كان صاحبه يغض الطرف عنك كما كنت تغضين النظر عنه . ولو كنت ترضين الآن مثل هذا الزوج لكنت أول الخاطبين

مارتا

بالله أتمزح أم تقول الجد ؟

ابليس

(لنفسه) لم يبق الا أن أغادر هذه الدار . فانها تريد حتى الشيطان أن يتقيد بكلمة قالها .

(ملتفتا الى مرغريت) وأنت يا ابنتى كيف حال قلبك ؟

مرغريت

ماذا تعنى ايها السيد !

ابليس

(لنفسه) ما أطهر هذه النفس وما أطيبها

(بصوت عال) فى رعاية الله ياسيدتى !

مرغريت

فى رعاية الله .

مارتا

لكن قل لى قبل أن تذهب ! أنا لا بد لى من الحصول على شهادة مكتوبة تنبىء عن اليوم الذى مات فيه زوجى والمكان الذى دفن فيه. فانى امرأة تحب النظام والترتيب فى كل شىء وأريد أن ينشر نبأ وفاته فى الصحيفة الأسبوعية .

ويحق لك هذا أيتها السيدة . وسآتى برفيقٍ لى شهد معى وفاة زوجك — وسنتقدم بالشهادة أمام القاضى . وفى شهادة اثنين جِلاءٌ للشك واظهار للحقيقة .

مارتا

إذن أحضره هنا .

ابليس

وهل نراك هنا أيتها الحسناء ؟ إن صديقى فتى ظريف قد طاف أنحاء العالم ؛ وهو يبدى لكل فتاة منتهى الأدب واللطف.

مرغريت

انى أحمر خجلاً أمامك أيها السيد .

ابليس

مثلك لن تحمر خجلا أمام ملوك الارض جميعاً .

مارتا

سوف ننتظرك كلانا هذا المساء بالحديقة التى خلف منزلى .

(١١)

فى الطريق

(فاوست وابليس)

فاوست

هل قُضِيَ الأمر على مانشتهى ؟

ابليس

حبذا جمرة غرامك المشتعلة ! عما قليل تمسى مرغريت فى حوزتك . واليوم ستراها فى بيت جارتها مارتا : تلك المرأة التى ماخلقت الا لتكون قوادة . لكنها تطالبنا بشىء

فاوست

ماجزاء الاحسان الا الاحسان .

ابليس

تطلب منا أن نشهد أن زوجها المرحوم قد انتقل من العالم الفانى وثوى فى قبره المقدس ببلدة پادوا

فاوست

فكرة حسنة ؛ لكن لابد لنا أولا أن نسافر الى تلك البلدة

ابليس

ياهذه السذاجة ! الأمر أيسر بكثير من هذا . فما عليك الا أن تؤدى الشهادة من غير أن تعلم عن حقيقة هذا الأمر شيئا .

فاوست

إن لم يكن لديك رأى أحسن من هذا فقد فسد التدبير .

ابليس

يالك من قديس ورع ! أهذه أول مرة فى عمرك شهدت فيها زوراً وافتراءً ؟
ألم تكن تتكلم فى سالف عمرك عن الاله الخالق وعن العالمَ وما انطوى عليه من الأسرار . وعن الانسان وما يدور بفكره أو يجيش بصدره

ألم تكن تُعَرِّف هذا كله للناس وتصفهُ بكل جرأة ووقاحة ... وأنت لو راجعت ضميرك لحظة لرأيت أنك لاتعلم عن هذه الأمور أكثر مما تعلم عن وفاة صاحبنا زوج مارتا

فاوست

انك كنت وما زلت أكذب الكاذبين وأكبر المضللين .

ابليس

أجل أنا وحدى الكذاب ! أما أنت حين تلقى غدا بمرغريت وتنصب لها حبائلك وتجذبها بسحرك وحيلك وتقسم لها أنك مشغوف بها حبا

فاوست

وهذا صدق لامرية فيه

ابليس

أجل ثم تحلف بعد ذلك أنك لن تحَوُلَ عن هواها مدى الدهر . وأن وفاءك باق على مر السنين ، وحبك أبدى دائم وعاطفتك فوق كل عاطفة . فهذا أيضا كله صدق لاريب فيه .

فاوست

دع عنك هذا! أما إنِّى لأشعر بحب يتأجج فى صدرى وأحس عاطفة قد طغت على فكرى ولبى . . . وقد حرت كيف أسمّى تلك العاطفة التى ملكت قيادى

وسرت فى لحمى ودمى فلما أعيتنى الحيلة ولم أجد فيما نعلمه من الألفاظ والعبارات كلمة أنعت بها ذلك اللهيب الذى يتقد فى جوانحى فوصفته بالأبدى الدائم السرمدى . وهل هذا يشبه أكاذيبك وأباطيلك الشيطانية

ابليس

اذن أنا مصيب .

فاوست

لاتطل الجدال وأشفق على رئتى . . . ماعلى من يريد الانتصار فى جدال الا أن يكون طويل اللسان والنفَس . فهلم بنا . فقد سئمت المناقشة . وان أردت أن يكون الحق لك فليكن .

(١٢)

فى حديقـــة

مرغريت ممسكة بذراع فاوست — وخلفهما مارتا وابليس

وكلهم يسيرون جيئة وذهابا

مرغريت

هيهات ! انى أعلم يقيناً أن هذا اللطف الذى تبديه نحوى وهـذا التواضع والتنازل لمخاطبة مثلى ليس الا لتناهيك فى الكرم . . ومن عادة السائحين أنهم يتلطفون بكل من يلاقونه فى سبيلهم . وهيهات أن يكون لك أدنى تسلية فى فتاة جاهلة مثلى .

فاوست

انى لأجد من التسلية والطرب فى النظرة الواحدة من طرفك وفى الـكلمة الساحرة من ثغرك ما لا أجده فى حكمة العالم أجمع (يقبل يدها)

مرغريت

بالغت فى التلطف . . . أترضى أن تقبل هـذه اليد على ما بها من الخشونة والقبح؟ وما من عمل شاق لم أعمله بيدىّ هاتين ؛ ناهيك أن أمى شديدة التدقيق والتقتير

(يمضيان الى ناحية أخرى)

مارتا

وأنت أيها السيد أما تنفك فى سفر وترحال .

ابليس

مكره أخوك لابطل . ان حرفتنا الشـاقة ومشاغلنا الجمة لاتتركنا لحظة فى راحة وأمان . وكم من بلد طيب يهواه القلب ؛ وترتاح له النفس ؛ أرغمنا جدنا العاثر على أن نتركه آسفين محزونين .

مارتا

ربما قدرتم أن تعملوا هذا فى أيام الشباب وزمن الطيش . فتسيحون فى العالم وتتنقلون من بلد الى بلد . . أما اذا حان الحين وجاء الشيب والهرم . ومات المسكين من غير أن يتزوج فهذا هو الشقاء الذى ليس وراءه شقاء

ابليس

صدقت وأنا كلما أبصرت هذه العقبى استولى على رعب شديد .

مارتا

اذن لماذا لاتحتاط من الآن قبل أن تفوت الفرصة

(يذهبان الى الناحية الأخرى)

مرغريت

البعيد عن العين بعيد عن القلب . وان منعك أدبك الْجَمُّ عن أن تقر بهذا ؛ وعما قليل تلتقى بأقرانك وأصحابك . ومن هم أكثر منى ذكاءً وعلماً . .

فاوست

ثقى أيتها الحبيبة أن ماتسميه الناس ذكاء وعلماً ليس فى الغالب الا غروراً وحمقاً .

مرغريت

أصحيح ماتقول ؟

فاوست

ليت هذه السذاجة الطاهرة تبقى أبداً جاهلة بنفسها و بقدرها الأسنى ! اللهم

إن صفة الاستكانة والضعة هي أعلى وأغلى ماوهبته الطبيعة الحكيمة لبنى الانسان.

مرغريت

عساك تذكرنى وتفكر فىّ من حين الى حين . . أما أنا فلدىّ للتفكير فيك ساعات طوال . .

فاوست

أكثيراً ما تكونين وحيدة من غير رفيق ولا أنيس ؟

مرغريت

ان دارنا، على صغرها، تحتاج الى الكثير من التعهّد والعناية. وليست لنا خادم تساعدنى . فتراني لا أنفك أعمل وأدأب وأجرى ههنا وههنا فى الصباح والمساء ؛ وأمى كثيرة التدقيق والتقتير ، وطاعتها فرض . ومع هذا فلسنا بحاجة شديدة الى الاقتصاد والتقشف فى المعيشة . وفى قدرتنا أن نعيش فى سعة أكثر من غيرنا . فان أبى قد ترك لنا إرثا حسنا ودارا صغيرة فى ظاهر المدينة تحف بها حديقة جميلة ...

على أنى الآن فى راحة أكثر من قبل فأخى انتظم فى الجندية وشقيقتى الصغرى تُوفيت . وبرغم ما كانت تسبب لى من النصَب والعناء أتمنى لو رجعت الى وعادت الى تعذيبى من جديد . فلقد كانت قرة عين لى .

فاوست

لئن كانت تشابهك فهى — ولا ريب — مَلَكٌ من أطهر الملائكة

مرغريت

لقد توليت أمر تربيتها من يوم ولادتها : فنشأت على حبى والتعلق بى . وكانت ولادتها بعد موت أبى بقليل . وأمى حينذاك سقيمة قد اشتد بها المرض حتى يئسنا من شفائها . الى أن أنعم الله وزال عنها الضر شيئاً فشيئاً . فكانت من

الضعف بحيث لم تقدر على الارضاع. فانفردت أنا بتعهد الطفلة ورعايتها ؟ فكنت أسقيها اللبن ممزوجا بالماء ؟ وكنت ألاعبها وحدى وأداعبها . وأحملها بين ذراعى حيناً وفى حجرى حيناً ، حتى نمتْ وترعرعت .

فاوست

فكانت لك فى هذا السعادة الكبرى .

مرغريت

أجل . وان لم يخل الأمر من بعض التعب والمشقة . فقد كان مهدها بجانب فراشى . فان أتت بأقل حركة انتبهت من نومى وانصرفت اليها لأرى أى شىء تحتاجه . فحيناً كنت أسقيها اللبن وحينا كنت أرقدها بجانبى . فان لم تسكت اضطررت للنهوض من مضجعى فأحملها بين ذراعىّ وأرقص بها فى الغرفة حتى تسكن وتهدأ .

ثم لابد لى بعد هذا من التبكير لغسل الثياب والذهاب بعد ذلك الى السوق لشراء حاجات البيت . ثم أعود فانهمك فى تأدية أعمال المنزل . وهكذا تمضى الايام تباعا . ما أشبه الليلة بالبارحة .. وحبذا لو كان للانسان الجلد دائما على تحمل كل هذا . . على أنه بعد التعب والجهد يحلو للمرء طعامه ويدرك لذة الراحة.

(ينصرفان الى الناحية الأخرى)

مارتا

ما أشقى حظ النساء وما أكثر ما يعانين اذ يحاولن ارشاد الرجل الأعزب الى السبيل الأقوم والطريق الأرشد

ابليس

سهل على مثلك ارشادى وهدايتى الى ماهو خير وأمثل .

مارتا

اذن قل لى ! ألم تهتد بعد الى شىء ما ؟ ألم يرتبط قلبك بعلاقة فى بلد من البلاد ؟

ابليس

مازلت أذكر المثل المشهور : الدار الفسيحة والزوجة المليحة همـا أثمن من الدر والذهب .

مارتا

لـكنى أريد أن أسألك : هل اشتهيت مرّة فى عمرك ؟

ابليس

كنت محبوباً فى كل مكان ، مكرما حيثما نزلت .

مارتا

ولـكنى أردت أن أعرف ان كان قلبك لم يداخله هوًى قط ؟ هوى حسبته هزلا فصار جدا .

ابليس

أرى أن الهزل مع السيدات من أكبر السيئات .

مارتا

أف ! انك لم تفهم ما عنيت .

ابليس

يسوءنى هذا جداً . لـكنى فهمت ولا شك أنك من أطيب النساء قلباً

(يمضيان الى الناحية الأخرى)

فاوست

اذن قد عرَفتنى أيها الملاك الصغير بمجرد دخولى هذه الحديقة .

مرغريت

ألم تلاحظ أنى أغمضت عينىَّ حياء اذ أبصرتك قادماً

فاوست

وهل تصفحين عن تلك الجرأة والقحة اللتين دفعتانى الى مخاطبتك والتعرض لك عند خروجك من الـكنيسة ؟

مرغريت

لقد دهشت وحرت فى أمرى . ومثل هذا الأمر ماحدث لى من قبل . وما مِنْ أحد يقدر أن يتهمنى بسوء ... فسألت نفسى : ليت شعرى كيف تجرأ أحد على مخاطبتى وأنا سائرة فى طريقى اللهم الا أن يكون فى مشيتى ومسلكى خفة وتهتك حتى تجاسر ذلك الغريب وأقدم يريد العبث بى . وأقول لك الحق انى حين خطر لى هـذا الخاطر بت حانقة على نفسى وشُغِلْتُ بتأنيبها وتوبيخها عن لومك أنت وتأنيبك .

فاوست

أيتها العزيزة !

مرغريت

دعنى لحظة

(تنحنى فتقتطف أقحوانة ثم تنتزع وريقاتها الواحدة بعد الأخرى)

فاوست

ماذا تصنعين ؟ هل تجمعين باقة زهر ؟

مرغريت

لا ! ان هذا على سبيل اللهو واللعب

فاوست

وكيف هذا ؟

مرغريت

انتظر لئلا تسخر مني
(تنتزع وريقات الاقحوانة واحدة واحدة وهي تهمس وتهمهم)

فاوست

بماذا تهمسين .

مرغريت

(بصوت مسموع وهي تنزع الوريقات) يحبني ! لايحبني

فاوست

لله هذا المحيا السماوي البديع !

مرغريت

يحبني ؛ لايحبني ؛ يحبني ؛ لايحبني
(تنزع الورقة الأخيرة وتثب مسرورة)
يحبني !

فاوست

أجل أيتها الحبيبة . فاعتبري ما أبدته لك وريقات هذه الزهرة وحياً سماويا وفألا صادقا . فهل تفهمين معنى هذا : انه يحبك ويهواك
(يمسك بكلتا يديها)

مرغريت

أرانى أرتعد .

فاوست

وعلام ترتعـدين ؟ ليكن من نظرى اليك وامسا كى براحتيك ماينبئك عما يعجز عن ذكره اللسان : لنسلم أنفسنا الى غرام شديد نحسه ونتنعم به . غرام يجب أن يبقى نعيمه الى الأبد . غرام لاحد له ولا نهاية . فان انتهاءه جزع قاتل وكمد ساحق . . . يجب ألا تكون له نهاية ولا يكون له آخر

(تضغط مرغريت على يديه ثم تتركه وتجرى مسرعة . فيقف مفكراً لحظة ثم يتبعها)

مارتا (داخلة هى وابليس)

لقد خيم الظلام

ابليس

صدقت وآن وقت رواحنا

مارتا

بودى أن تطول اقامتكما فى هـذا البلد ؛ لولا أنه مكان ردىء . فالناس هنا من ذلك الصنف الذى لاشغل له الا التجسس على الجيران ومراقبة حركاتهم وسكناتهم ؛ ثم التحدث عنهم بما لم يعلموا .. ترى أين ذهب فتانا وفتاتنا ؟

ابليس

هما كزوج القطا يمرحان هناك ويسرحان

مارتا

أراه يحبها كثيراً

ابليس

وهى تحبه . هكذا يدور الفلك .

(١٣)

كوخ صغير فى موضع آخر من الحديقة

(تدخل مرغريت الكوخ وتختبىء خلف الباب واضعة أصبعها على ثغرها وهى تنظر من الثقب)

مرغريت

ها هو آت !

فاوست

(داخلا) ويلك : أهكذا تعبثين بى ؟

(يرى مرغريت) أأنت هنا ؟ (يقبلها)

مرغريت

(تعانقه وتقبله ثانية) أحبك من صميم قلبى

(ابليس يقرع الباب)

فاوست (مغضباً)

من الطارق ؟

ابليس

صديق

فاوست

حيوان أعجم

ابليس

أَذِنَ وقت الرجوع

مارتا (داخلة)

أجل أيها السيد لقد تأخرتما.

فاوست

هل لى أن أصاحبك الى منزلك ؟

مرغريت

ستجىء أمى لتأخذنى معها . فاذهب أنت فى رعاية الله .

فاوست

ان كان لابد من الذهاب ؟ فابقى فى حماية الله .

مارتا

تصحبك السلامة

مرغريت

الى الملتقى القريب .

(يخرج فاوست وابليس)

مرغريت

تباركت اللهم! أى شىء فى العالم لم يحط به هذا الرجل الخطير علما ؟ وأنا أمامه كالحجر الأصم لا أقدر على الكلام وأجيب عن كل سؤال بنعم ! ماذا يحبه فىّ وما أنا الا فتاة جاهلة ساذجة .

(١٤)
غـــابة وغـــار

فاوست (١)

أيها الروح الجليل ، الذى غمرنى بالهبات وأنالنى كل ماسألته ! ما كان عبثاً أن أريتنى محياك من قبل وسط شواظ من نار ، فقد أحدقَت بى بعد ذاك نعَمُك ومنَحك . . جعلت هذا الكون لى مُلْكاً ، ووهبتنى القدرة على التنعم بطيباته والاحاطة بأسراره . وكشفت لى الغطاء عما انطوى فيه من العجائب ، وكن فى أعماق صدره من البدائع الخفية . .

وعرضت أمام عينى جماهير المخلوقات فأَطَلْتُ التحديق فيها ، وتعلمت كيف أحبها وأحنو عليها . وكيف أعطف على اخوتى وذوى قرباى . تلك الأرواح العديدة التى تسبح فى الماء وتحلق فى الهواء وتدب على أديم الثرى . .

تعاليت أيها الروح ! كم جنّبتنى المهالك ؛ وسلكت بى أسلم المسالك . وكم كشفت عنى من غُمّة وأنرت لى السُّبُل . فان عصفت العواصف ، وأخذت الزوابع تزأر وتزمجر ، فاجتثت دوحا من أصولها . وقذفت بها فوق الدوح الأُخَر فحطمتها ومزقتْها . وكان لسقوطها دوى وزئير يتردد صداه بين الجبال والوديان . انتشلتَنى أنت من بين هذه الأخطار . وآويتنى الى كهف أمين وركن ركين .

ثم كشفت لى الغطاء عن دخائل نفسى ، فبدا لعينَىّ ما كان كامنا فى صدرى من الأسرار والآيات الخفية .

ولقد أَنظر الى البدر المنير اذ يصعد فى السماء مرسلا الى العالم تلك الأشعة التى

(١) فى هذا المنظر يعود فاوست الى طلب العزلة ، فهو لايميل الى الشر قليلا حتى تعود اليه نزعته الى الخير . . وهو فى هذا المنظر يناجى الروح — روح الأرض — مناجاة لا يفسرها ماضى القصة . . وربما كان سبب هذا ان المؤلف كان يريد أن يجعل للروح دوراً أكبر فى القصة . ثم عدل عن هذه النية . . وبقيت قطع صغيرة تدل على ما كان يريده

تسكّن الروع وتشرح الصدر . . هنالك تسبح الىّ من بين جلاميد الصخر ومن بين الأحراش الرطبة أشباح فضية تمثل الازمنة الغابرة ، فتهدى خيالى الثائر وفكرى الهائج المضطرب .

والآن أحس وأعلم أن ليس شيء كامل بِمُتاحٍ لبنى الانسان . فانك أيها الروح تفضلت فغمرتنى بتلك السعادة ، ورفعتنى الى هذه المرتبة التى قربتنى من الآلهة وأدنتنى من مقامهم الأسمى . لكنك ألزمتنى صحبة ذلك الرفيق الممقوت فبت أرانى ويالاأسف وليس لى عنه غنى .ولا أستطيع ابعاده عنى . . وانه ليقف بازائى ساخراً منى واضعا من قدرى أمام نفسى . ولقد يفوه بالكلمة الواحدة فيفسد علىّ كل ما منحتنى وأجزلت لى من الهبات . .

أثار فى نفسى الشهوات الخامدة . وأوقد فى قلبى نار عشق متأججة لتلك الصورة المليحة . فأمسيت وما تنفك نفسى تتوق الى اللذات ؛ حتى اذا نالتها ثارت تطلب سواها ، وتصيح هل من مزيد

(يدخل ابليس)

ابليس

أتراك قد قضيت وطرك من الحياة و بلغت كل ما تشتهيه ؟ لكن أما تظن انك على مر الزمان ستسأم مثل هذه الحياة ؟ إنه لابأس فى أن تجرب هذه الحال مرة ، لكن لابد لك بعدها من السعى وراء شيء جديد

فاوست

وددت لو كان لك من شؤون هذه الدنيا ما يشغلك عنى وأنا فى أسعد أوقاتى .

ابليس

لعمرى ليس بشاقٍ على أن أتركك وأمضى ان كنت تجِدُّ فى الحديث . ولن تكون خسارتى جسيمة بترك رفيق وقح فظ أبله مثلك .

أنسيت أنك تكلفنى من العناء والنصب ما يشغلنى آناء الليل وأطراف النهار ثم أراك بعد ذلك وقد انقلبت سحنتك ، واستحال على المرء أن يعرف أى شىء رضيك وأى شىء يغضبك

فاوست

تلك لهجته الصادقة ! يريد منى أن أشكره على تعذيبه ومضايقته لى .

ابليس

ويك ياسليل التراب ، أى عيش كنت تعيشه من غيرى ؟ الم أنقذك ، ولو الى حين ، من وساوسك وأوهامك ؛ ألم أكبح لك جماح خيالك الكثير الشطط ؟. ولولاى لكنت فارقت هذه الكرة الأرضية منذ زمان

ماذا يعجبك من الثواء وسط هذه الكهوف والأحجار ، كأنك البومة فى الوحشة والوحدة؟ أتريد أن تعيش كالسلحفاة فتسكن وسط الحشائش وتمتص غذاءك من الطحلب والطين ؟ . . . يالها من تسلية حلوة جميلة ! لعمرى أن روح الدكتور لم يزل بعد فى جسدك !

فاوست

مثلك لايدرى أى قوة جديدة أكتسب من تجوالى فى هذه الأماكن المقفرة ولو كنت تدركها لأبت عليك شيطانيتك ان تتركنى أتمتع بها

ابليس

أَما انها لَلَذَّة سماوية جليلة : أَن ترقد فوق الصخور ملتحفا سواد الليل ، تتساقط عليك قطرات الندى ! ثم تمد ذراعيك لتعتنق بهما الأرض والسماء . وتنتفخ وتتعاظم حتى تحسب أَنك صرت ربا من الأرباب ، ثم تنفذ الى لُب الأرض و باطنها . وتحس ان صدرك قد وسع العالم أَجمع واحتوى كل ماصنعه الخالق فى ستة أَيام . . ثم ترتقى بك كبرياؤك فتشعر بلذات لاتوجد الا فى مخيلتك . وسرعان ماتفيض روحك وتسرى فى سائر الكائنات فتحس أَنك قد بلغت أقصى مراتب السعادة . .

ثم تختم هذا الالهام السماوى (يعمل بيده اشارة غير حسنة) بالأمر الذى لايصح أن أَفوه به .

فاوست

اخسأ ! قبحا لك .

ابليس

أنت تأنف بالطبع من ذكر هذه الأشياء . ويحق لك ان تستقبحها وتقول لى اخسأ ! يجب علينا أَلا نذكر لذوى الآذان العفيفة تلك الأمور التى تشتهيها نفوسهم العفيفة !

والخلاصة : انى لا أُريد أَن احرمك لذة هذا الانزواء من آن لآن لكى تخدع نفسك وتغرر بها كما تشاء ؛ لكنى اخالك هذه المرة قد بلغت الغاية ولئن دام لك مثل هذا العيش فانه سائقك ولا شك الى الجنون او الى الرعب والفزع . . .

فحسبك وارجع عن هذا . واذكر أن فى المدينة حبيبتك ، التى أمست حليفة

الكمد والوجد ؛ وقد بات ذكرك لايبرح خاطرها بعد أن تيمها حبك وامتلأ قلبها غراما بك .

بالامس كان قلبك يطفح حبا وهياما .. وسيل غرامك قد طما وعلا كما تفيض الجداول إثر ذوب الجليد . ففاض الحب من قلبك الى قلبها حتى أمسى فؤادها مفعما . وكأس غرامها مترعة ؟ وهأنت اليوم قد نضب معين هواك

فياليت شعرى أليس الأجمل بك أيها المولى ! بدلا من هذا العظم والتعاظم بين الكهوف والغابات أن تكافىء تلك الفتاة على حبها بمثله وتجازى الجميل بالجميل؟

لقد باتت وساعات وحدتها طوال . فهى تقف لدى النافذة ترقب السحب وهى تعدو فى السماء مبتعدة الى ماوراء أسوار المدينة ... ثم تحاول أن تخفف آلامها بأنشودة تغنيها فلا يزداد صدرها الا حرجاً ....

وهكذا تقضى أياما طوالا وليالى أطول مابين سرور قصير المدى وحزن طويل الأمد . و بكاء كاد ألا يترك فى مآقيها قطرة .. وهدوء وسكون ظاهرين من ورائهما حب مُضنٍ وهوًى مبرِّح

فاوست

ويك أيها الحية الرقطاء !

ابليس

(لنفسه) ها قد بت فى قبضة يدى

فاوست

اخسأ أيها اللعين ! ولا تذكر هذه الحسناء أمامى ! احذر أن تثير حواسى المشرفة على الجنون . وتهيج فىّ الرغبة الى ذلك الجسد الغض

ابليس

اذن كيف التدبير ؟ انها باتت تحسبك قد هربت وهجرتها . ويوشك ظنها أن يكون صدقا .

فاوست

أنا منها قريب وأن بعد بيننا المزار . ولن يبرح ذكرها من خاطرى أبداً . . ألَا إنى لأحسد جِسْمَ المولَى حين تلمسه شفتاها . (١)

ابليس

إى وأبيك ! وأنا طالما حسدتك على هاتين الوردتين الناضرتين .

فاوست

اخسأ أيها القواد !

ابليس

حسناً ! انك تسبنى وأنا لايسعنى الا أن أضحك منك . ياسبحان الله ! أتسب المهنة الشريفة التى لا تعادلها مهنة ؟ ونسيت أن الله قد خلق الذكر والأنثى :

أرى الحزن قد أخذ منك كل مأخذ حتى بت تتوهم أن ذهابك للقاء حبيبتك كذهابك الى القبر .

ابليس

انى لأجد بين ذراعيها نعيم السماء وعلى صدرها حرارة الحياة . لكنى برغم هذا أحس ماهى فيه من بلاء وعذاب .

ياويلى . لقد أصبحت ذلك الشريد الطريد ، بل ذلك الوحش البشع الذى لاراحة له فى الأرض ولا مأرب . والذى غدا مثل السيل الجارف يتدفق من صخر الى صخر مندفعاً بقوة الى هاوية سحيقة !

---

(١) اشارة الى شعار من شعائر المسيحية وجسم المولى هو الخبز المقدس

كانت عنى بمَعْزِل ، عائشة وسط جدران كوخ صغير قد انحصرت فيه آمالها وآلامها . فكأنما هى فى عالم صغير محدود . . فجئت أنا الذى حل به سخط الآلهة ولم يكفنى أن مزقت الجنادل وحطمت الصخور . فلم أرض حتى قذفت بها على تلك البائسة فدمرّْتُ بناء سعادتها !

فيا أيتها الجحيم ! ما كان أغناك عن مثل هذا القربان !

أيها الشيطان أعنّ على تقصير أمد هـذا الشقاء وان كان نزول البلاء ضربة لازم فلينزل سريعاً ! ولتحل بى أنا أيضاً تلك الكارثة التى ستنزل بها حتى يُقضى علينا جميعا .

ابليس

ها قد اشتعلت نارك ثانيا وغلت مراجلك ! أليس الأولى بك أيها الأحمق أن تسارع الى منزلها وتأخذ فى ملاطفتها وتسليتها . . ياعجبا لك ! أكلما عجز مخيخك هذا عن التدبير ظننت أن الطريق قد انسدت والحيل قد نفدت ؟ وهل العيش الا للجرىء الباسل ؟

انك قد أصبحت نصف شيطان . وأنا لا أجد فى العالم شيئا أسمج منظراً من شيطان يدركه اليأس والجزع .

(١٥)

حجرة مرغريت (مرغريت جالسة تغزل)

مرغريت (١)

أنا — صبحي ومسائي
في عذابٍ وبلاء ،
واعنائي ! واشقائي !
هل لدائي من دواء ؟

كيف لا يشتدّ خطبي
كيف لايزداد كربي
كيف لايحزن قلبي
وحبيب القلب ناء ؟

بان صفو العيش عني
قرّح التسهيد جفني ؛
لم يسكّن نارَ حزني
دمعُ عيني و بكائي

قد نبا عني الرقادُ
وبرى جسمي السهاد
آه ! قد طال البعاد
وشفائي في اللقاء

(١) هذه الأنشودة مترجمة بتصرف

فمتى يسمح دهرى
ويرينى وجه بدرى
قد أنالّ الحبُّ فكرى
والهوى أعضل داء .

أو ما يدنو الحبيب
فأرى العيش يطيب ؟
الهوى أمر عجيب
منه سقمى ودوائى .

ما أُحَيْلاه اذا ما
ثغره أبدى ابتساما !
قد حكى البدر التماما
فى سناء وبهاء

آه لو أُشْفَى بلَثْمَهْ
منه أو أحظى بضَمَّهْ !
ثم يقضى الدهر حكمه
بهلاكى وفنائى .

(١٦)

حديقة مارتا(١)

مرغريت

عِدْنى يا هنرى !

فاوست

كلّ ما أقدر عليه !

مرغريت

قل لى ما رأيك فى الديانة ؟ لست أنكر أنك من أطيب الناس وأحسنهم . لكنى أخشى أن تكون قليل الايمان .

فاوست

دعي هـذا يا حبيبتى ! أنت ترينني متيما بك ؛ أود أن أبذل من أجل حبك لحمى ودمى . وما أريد لعمرى أن أسلب أحداً دينه ومُعتَقده .

مرغريت

هذا خطأ ! يجب على الانسان أن يؤمن بالدين !

فاوست

يجب ؟

مرغريت

ليت لى عليكَ بعض النفوذ ؛ اذن لجعلتك تعظم الشعائر الدينية وتبجلها .

---

(١) فى هذا المنظر حاول «غوتيه» أن يكشف قليلا عن معتقده الدينى ولعل بعض ماجاء فيه هو من تجاربه الشخصية .

فاوست

أنا أبجلها.

مرغريت

لـكن من غير حمية ولا غيرة ؛ وعهدك بالاعتراف والصلاة بعيد .
قل لى : هل تعتقد وتؤمن بالله ؟

فاوست

أيتها الحبيبة ! من ذا الذى يستطيع أن تبلغ به الجرأة والقحة أن يقول « أنا اعتقد بالله ».. ولئن سألت القساوسة والحكماء فما يكون جوابهم الا عبارات مبتورة غامضة كأنها ازدراء بالسائل وسخرية منه .

مرغريت

اذن فأنت لا تؤمن بالله ؟

فاوست

لاتسيئى فهم أقوالى أيتها الحبيبة : أى الناس يقدر أن ينطق باسمه؟ وأيهم يستطيع أن يقول: « أنا لا أؤمن به » . وأى الورى يحس و يبصر، و يسمع و يعى ؛ ثم يجرؤ أن يقول : « أنا لا أؤمن به» ؟ ... ذلك القابض على كل شىء والممسك كل شىء؟ أليس هو الممسك لى ولك ولنفسه ! أما تنظرين الى السماء كيف رفعت والى الارض كيف سطحت؟... والى هذه النجوم الزهر تسبح فى السماء ، مرسلة ضياءها الابدى المحبوب ؟ ... ثم اذا أطلتُ التحديق فى عينيك فأرنو اليك وتنظرين الى ... ثم لو تأملت فيما تحسينه من مختلف الشعور وما يخامر فكرك من الخواطر والظنون وما يحيط بك من الاسرار الابدية العديدة ؛ وهى حيناً تخفى وحيناً تظهر ؛ وطوراً هى جلية واضحة وطوراً مبهمة غامضة ..... فمن هذا كله فاملئى قلبك حتى يطفح بتلك السعادة ، و يستنير بذلك النور . وعندئذ فاتْسِمه كما تشائين، ولتدعيه بما يحلو

لك من الأسماء : السعادة أو القلب أو الحب أو الرب .

أما أنا فما له اسم عندى . وكل هَمّى أن أحسه واستشعره ... فالشعور هو كل شيء . . . وما الاسم الا صدى لا طائل تحته . أو غمام يستر عن أبصارنا محيا الشمس البديع .

مرغريت

هذا كله حسن وجميل ، ويكاد أن لا يختلف عما يقوله القسيس الا فى طريقة التعبير .

فاوست

هذا مايقال فى كل أرض وتحت كل سماء . هذا مايحسه كل قلب ويخطر بكل فكر . ولكلٍّ لغة يؤدى بهـا مقصده . فَلِم لا تكون لى لغة أبين بها عن قصدى أسوة بالآخرين ؟

مرغريت

حين أسمع كلامك يخيل الى أن ليس فى كلامك بأس . لكنى مازلت قَلِقَةً لانى أرى قدمك فى المسيحية غير راسخة .

فاوست

ولِمَ أيها الطفلة العزيزة ؟

مرغريت

انى لأتألم أشد الألم كلما رأيتك فى صحبة ذلك الرجل !

فاوست

ومن تعنين ؟

مرغريت

ذلك المخلوق الذى يصحبك فى غدواتك وروحاتك ؛ أرانى أبغضه كل

البغض : وما أَلِمْتُ فى حياتى لشىء ألمى لرؤية وجهه الـكريه .

فاوست

أيتها الطفلة العزيزة لا تخافيه .

مرغريت

انى وان كنت لا أبغض أحـداً من الناس ؛ غير انى لا أكاد أبصر هذا الرجل حتى يغلى الدم فى عروقى . وعلى شدة اشتياقى لرؤيتك فانى أنفر منه وتَأْلَمُ عينى لمرآه . لهذا ترانى أعده من السفلة الاشقياء .

ويعفو الله عنى . ان كان أخطأ ظنى

فاوست

لا بد أن يكون فى العالم أناس لا يسرك مرآهم .

مرغريت

أنى لأكره أن أعيش مع مثله : ولو تراه اذ يدخل من الباب وعلى وجهه تارةً علائم السخرية والازدراء ، وطوراً يعلو وجهه العبوس والتقطيب . فمن الواضح الجلى أنه لا يأبه لأمر . وكأنما كُتِبَ على جبينه أنه ليس أهلا للحب ولا للثقة . وليس ممن تدخل الرحمة فؤادهم .و بقدر سرورى وانشراح صدرى للقائك وعناقك أحزن و يضيق صدرى حين أراه .

فاوست

لله أنت من مَلَكٍ ثاقب النظر !

مرغريت

لقد بلغ من بغضى له أنى لو رأيته قادماً علينا لملأ الرعب قلبى حتى ليخيل الى

انى لم أعد أحبك أنت أيضاً .

وكم حاولت أن أصلى وهو موجود فلا أَستطيع ؛ فيزداد غيظى منه وحنقى عليه . وأعجب كيف لا تحس أنت مثل الذى أُحسه .

فاوست

أنت قد أشْرِبَ قلبُك بغضَه

مرغريت

والآن لا بد لى من العودة .

فاوست

أما أستطيع أن اجتمع واياك سويعة فى هدوء وصفاء . فأسند صدرى الى صدرك وروحى الى روحك ؟

مرغريت

لو كنت أسكن وحدى . لجعلتك تزورنى هذا المساء لكن أمى تنام معى ؛ وهى ان رقدت فسرعان ما تستيقظ ؛ ولو صادفتنا معا لكان فى ذلك شقائى وهلاكى .

فاوست

الخطب يسير ! دونك هذه الزجاجة فضعى منها قطرتين أو ثلاثة فى شرابها ترقد بعدها رقاداً هنيئاً .

مرغريت

انى أفعل من أجلك كل شىء ؛ وعسى ألا يصيب أمى من جرّاء هذا أى ضرر !

فاوست

وهل كنت أرضاه لو كان فيه ما يضرها ؟

مرغريت

انى كلما نظرت اليك لا أعرف أى قوة تجعلنى طوعاً لارادتك؛ وقد ضحيت من أجلك كل شىء حتى لم أعد أجد ما أفعل من أجل حبك

(تخرج)

(يدخل ابليس)

ابليس

هل ذهبت الثرثارة ؟

فاوست

أعُدْت الى التجسس ؟

ابليس

سمعت كل شىء . ورأيتك أيها الأستاذ وأنت واقف أمامها موقف التلميذ . وهى تحيرك بأسئلتها الدقيقة . ولعل هذا قد أفادك .

البنات يهمهنَّ جداً أن يعرفن ان كان الرجل تقياً ومطيعاً لأوامر الدين . و يقلن فى أنفسهن : إن يطأطىء رأسَهُ للدين يطأطىء رأسه لنا !

فاوست

تباً لك ولما يخطر بخاطرك الجهنمى ! ألا ترى و يلك أن تلك الروح الزكية قد امتلأت بالايمان وترى فيه وحده أقصى السعادة ؛ فتألم أشد الألم اذ ترى من تحبه عارياً من التقوى والايمان ؟

ابليس

أنت أيها الرجل الشهوانى الجليل أصبحت تقتادك طفلة من خِطام أنفك .

فاوست

اخسأ يا سليل النار والدنس !

ابليس

أرأيت كذلك ما لها من قوة الفراسة ؟ . فهى فى حضرتى تحس شيئا لا تعرف ما هو ، وترى أن من وراء قناعى هذا أمراً خفيا .. وهى تظن رغم هذا انى عبقرى ؛ بل انى ربما كنت الشيطان بعينه . . .

والآن فى هذه الليلة . . .

فاوست

هذا أمر لا يعنيك

ابليس

بل لى فيه من السرور نصيب .

(١٧)

لدى البئر

مرغريت وليزا تستقيان و بيد كل منهما جرة

ليزا

هل أتاكِ حديث (بار بارا) وما فعلت ؟

مرغريت

لا ! لم يبلغ مسمعى عنها شىء . وأنا قلما اختلط بالناس.

ليزا

اليوم أنبأتنى بأمرها (سيبل) . لقد قضى الأمر ؛ وسقطت الى الهاوية بعد أن كانت تشمخ علينا بأنفها تيها وغروراً .

مرغريت

ولكن ماذا حدث ؟

ليزا

أمست والطعام الذى تأكله يغذى اثنين !

مرغريت

رباه !

ليزا

انها لقيت جزاء ما كسبت يداها . . ألم تكن تكثر الغدو والرواح مع ذلك

الفتى ؛ فيغشيان كل مكان ، ويرقصان فى كل ناد ؛ وكانت سباقة الى كل ملهى وملعب . أبداً تريد أن تكون الأولى . . ولطالما كان يتحبب اليها بأطباق الحلوى وكؤوس الخمر ... وهكذا لعب الغرور بقلبها وغـدت تحسب نفسها من الغوانى الحسان ؛ وباتت من القحة والضعة بحيث لم تكن تستحى أن تتقبل منه الهدية إثر الهدية . . . ثم كان تقبيلٌ وتجميش . ثم انثنت وقد غادرتْها الزهرةُ اليانعة .

مرغريت

واها للمسكينة !

ليزا

أو تهزك عليها عاطفة رحمة ؟ حين يجن الليل تجلس كل فتاة مثلى ومثلك الى مغزلها ولا تسمح لنا الأم أن نغادر الدار . . أما هى فكانت تقضى الليالى مختليـة بعزيزها ؛ يجلسان على المقاعد فى الطرق المظلمة لا يكترثان لمرّ الساعات الطوال . والآن فلتنزع عنها ثوب الـكبر والغرور ! ولتبادر الى الكنيسة مرتدية لباس الذل والضراعة ؛ وهناك فلتكفر عن آثامها !

مرغريت

لكنه لا بد سيتّخذها حليلة .

ليزا

اذن يكون من السذّج البُلْه . وجدير بشاب مثله ان يجد فى فسيح الارض مُضْطَرَباً ومجالا : ولقد علمت انه لاذ بالفرار

مرغريت

لعمرى لقد أساء صنعاً

ليزا

وهى أنه تسنى لها الزواج به ! فلن تزداد حالها الا سوءاً ؛ فهؤلاء شباب القرية قد آلوا على أنفسهم لَيُمَزِّقُنَّ الا كليل عن رأسها . ولينثُرُن التبن على باب دارها[1]

(تخرج ليزا)

مرغريت

(وحدها وهى تتأهب للعودة)

ياويلى ! كيف ساغ لى فى سالف عمرى أن أبدى السخط والغيظ من كل فتاة مسكينة زلت بها القدم ! وكنت لا أجد من الالفاظ مابه أبين مبلغ حنقى وكرهى لما يرتكبه الناس من الأوزار . كان منظر الاثم يبدو لعينى أسود حالكا كريها وكنت أنزِّه نفسى عن السقوط لمثل هذا الدرك الاسفل .

واليوم أَمسيت يا لتعسى . وأنا الرذيلة بعينها والاثم مجسما . . .

ولكن رباه رحماك ! ألم يدفعنى الى كل ذلك دافع جميل ؟ . . . دافعٌ عذب لذيذ . . .

---

(١) هذه عادة قديمة فى بعض جهات المانيا على سبيل التشهير بمن لم تحتفظ بعفافها قبل الزواج

(١٨)

عند سور المدينة

في احدى زوايا السور — في شبه محراب — تمثال للعذراء الحزينة[١] Mater Dolorosa وامام التمثال اوانى للزهر)

(مرغريت تضع أزهاراً في الانية وتناجي العذراء)

رُحماكِ عطفاً ! وارثي لحالى !
قد هدَّ ركني صرفُ الليالى
فألهمي مهجتي عزاء وأنقذيني من الوبال !

قدْ ذقتِ قدْماً مُرَّ الخطوب
كم من شقاء ومن كروبِ !
عانيت رزءاً وأي رزء اذ فتكوا بابنك الحبيبِ.

عرفت ماذا طعم الهمومِ
وكيف تُبْلي جسم السليمِ
هبي لقلبي الكليم نصراً من قلبك المشفق الرحيمِ !

ياويل نفسي لما رماني
صرف الليالي وما ابتلاني !
عذراء ! رحماك أنقذيني! فأنت أدرى بما أعاني.

---

(١) هو تمثال يمثل العذراء ناظرة الى المسيح وهو مصلوب . وهو تمثال معروف شائع في البلاد الكاثوليكية

ياطول حزنى ويالكربى!
ما بين صدرى وبين جنبى
أحس شيئاً . واحر وجدى ! قد ضل عقلى وجُن لبى .

قرَّحت جفنى من النحيب
وليس يطفى جوى اللهيب
وكم سقيت الازهار هذى من مدمعى المُسبل الصبيب

أقضى الليالى بلا رقادِ
كأن فرشى من القتادِ
رحماكِ ! إنى أقضى حياتى حليفة النوح والسهادِ .

أنت ملاذى فانقذينى
من البلايا وادركينى
العار والموت أحدقا بى رحماك رحماك خلصينى !

(١٩)
فى ظلام الليل

أمام منزل مرغريت . الجندى ڤالنتين شقيق مرغريت

ڤالنتين

ويلى عليك يامرغريت ! لقد كنت لى بالأمس باعث فخار وشرف، وكنت أرفع رأسى تيهاً بك واعجاباً .

لهفى على العهد الماضى ! اذ أجلس وأصحابى حول مائدة الشراب ؛ مصغياً لأحاديثهم وقصصهم . فيملأ كل منهم ماضغيه فخراً ، ممجداً الفتاة التى يمتُّ اليها بسبب؛ فيرفع من ذكرها ، ويعلى من قدرها .ثم يتناول الكأس مترعة فيشرب نخبها وقلبه مفعمٌ سروراً وزهواً

كنت أنظر اليهم ساكناً هادئاً ، متكئاً على ذراعى أعبث بلحيتى متبسما ، حتى اذا انتهوا من قصصهم ومن تيههم وفخرهم ، تناولت اكبر الأقداح فأترعته رحيقا وقلت لهم : «أنتم وما جعل لكم ، ولكل حظه ونصيبه. لكنى اناشدكم الصدق هل فى البلاد كلها فتاة تعادل مرغريتى اخلاصاً وطهراً ؟ بل هل فى البلاد من تليق لأن تقدم لها قدح الماء ؟ »

كنت اذا القيت عليهم هذا السؤال أخرست ألسنة المادحين والفاخرين ؛ وقال الآخرون : « انه لصادق ؛ فهل زين نساء العالمين » . . .

كان هذا شأنى بالأمس . أما اليوم فما أولعنى بأن أنتزع شعرى من جذوره وأحطم رأسى ضرباً فى الصخر من هول ما أسمعه من وخز الملام وقسوة التأنيب وما يرمينى به أقرانى من أليم التهم — إنْ تصريحاً أو تلميحاً — وأنا جالس بينهم أتصبب عرقاً كأنى مجرم أثيم .

ولعمرى ما أقدرنى على مقاتلتهم وقتلهم ! ولكن ما أعجزنى عن تكذيبهم وتفنيد مزاعمهم!

أرى شبحاً قادماً يسير الهوينا . ان صدق ظنى فهما اثنان ؛ ولئن يكن هو احدهما فسأنقض عليه انقضاض الصاعقة ولن يغادر هذا المكان حياً .

(يدخل فاوست وابليس)

فاوست

أنظُر الى ذلك النور الضئيل المنبعث من نافذة المعبد ! انه لايلبث حتى ينمحى ويتلاشى فى ظلام الليل الدامس . وانى لكذلك أشعر كأن النور الذى فى صدرى قد طغت عليه ظلمات بعضها فوق بعض .

ابليس

أما أنا فأشعر كأنى هِرٌّ رقيق العواطف . أتسلق سُلَّم الحريق ثم أزحف على الجدران بصمت وسكون؛ وأعد نفسى مع هذا كله من اهل الفضل والفضيلة، لاعيب فىَّ الا الشىء القليل من خلق اللصوص والنذر اليسير من عبادة الشهوات

وهذا كله مما يبعث فى نفسى ذكرى ليلة (والبورغ) ، التى نحتفل باحيائها بعد غد : وهى الليلة التى يطيب فيها السهر حقا

فاوست

ولكن ماخطب ذلك الكنز النفيس الذى أبصرته منذ حين فرأيت له بريقا شديداً ؟ أليس الأولى بنا ان نبادر الى فتحه ؟

ابليس

لينعم بالك سلفا، ولتقر عينك . فلقد نظرت حديثا فى ذلك الكنز فرأيته ملآنا بالدنانير

فاوست

اهذا كل ماهنالك ؟ اليس فيه حلية او خاتم فأقدمه للحبيبة ؟

ابليس

اخال انى رأيت فى الكنز شيئا كأنه عقد من اللؤلؤ

فاوست

هذا احسن فلتحضره الآن ؟ فانى ليؤلمنى ان أذهب اليها من غير هدية .

ابليس

وهل فى هذا ما يبعث على الألم ؟ انك ستنال شيئاً بلا شيء .

والآن وقد لمعت النجوم وتألقت السماء ، أريد أن أغنيك أنشودة مطربة مشجية ؛ وسأجعلها أغنية وعظية فان هذا أدعى للتغرير بالحبيبة واغوائها .

(يغنى موقعا على قيثارة)

كترين ! ما بالى أراك وحسنك الفتان يغرى
تسرين فى الليل البهيم ؛ وانما هذا لأمر
لبيت دعوات الغرام فجئت فى طرب وبشر
أقبلتِ بكرا حرَّةً ورجعت — لكن غير بكر

***

أبنيتى فلتحذرى ؛ كم من فتى فى لؤم ذيبِ .
من بعد ما يقضى مآربه يعجل بالهروبِ
ما إنْ يبالى أن تعانى ما تعانى من كروب
فحذار لا تستسلمى الا لزوج أو خطيب

فالنتين

من التى تريد تضليلها والتغرير بها ؟ تبالك من شقى لعين ! سحقالك ولقيثارتك

(يضرب القيثارة فيحطمها)

ابليس

لقد انكسرت القيثارة فلم تعد تصلح لشيء .

فالنتين

بقى أن أحطم رأسك أيها الفاجر .

ابليس

(مخاطباً فاوست)

سيدي الدكتور ! تقدم ولا تقهقر ! قف إلى جانبي وتتبع حركاتي ! استل سيفك ثم اقتله . ودعني أنا أتولى صدَّ ضرباته .

فالنتين

اذن صُدَّ هذه الضربة !

ابليس

ولِمَ لا ؟

فلنتين

وهذه !

ابليس

بلا ريب .

فالنتين

يُخَيَّلُ الى أني أبارز شيطاناً ! ويلي ما هذا ؟ كأن يميني قد شلت .

ابليس

(لفاوست) اطعنه الآن فهذا دورك !

فالنتين

أوَّاه ! . . . . (يخر صريعاً)

ابليس

الآن قد هدأ ثائر هذا الحيوان الأعجم؛ أما نحن فلنعجل بمغادرة هذا المكان. لأنهم سرعان ما يجدّون فى طلب القاتل .

أنا لا أخشى رجال البوليس لأنهم قوم سهلٌ ارضاؤهم . ولكنى أخشى غائلة القصاص الذين تقفوا أثر سافكى الدماء .

(يخرجان)

مارتا (من نافذتها)

النجدة ! النجدة !

مرغريت (من نافذتها)

أشعلوا مصباحا !

مارتا

سمعت أصوات قوم يتشاتمون ويتقاتلون .

جمهور من الناس

وهذا أحدهم قد قتل .

مارتا (تخرج من دارها)

ويل للقتلة ! هل فروا هاربين ؟

مرغريت (تخرج من منزلها)

ترى من الذى قتلوه !

جمهور من الناس

أنه أخوك ابن أمك !

مرغريت

رباه ! ان هذا بلاء عظيم .

فالنتين

قد أنشب الموت فىَّ ظِفْرَه ، وقريباً يُقْضى على القضاء الاخير . ياويلكن أيتها النسوة ما لكُنَّ ولهذا النحيب والعويل . اقتربوا منى جميعاً وأصغوا الى .

(يقف الجميع حوله)

أى مرغريت أنصتى الى ! إنك مازلت حديثة السن ، ساذجة القلب ؛ لا تحسنين حتى ارتكابَ الرذيلة . وأنى أنصح لك ، مادمت قد سلكت سبيل العاهرات ، أن تدخلى فى زمرتهن دخولا .

مرغريت

أخى بالله ربك ! أهكذا تخاطبنى ؟

فالنتين

ليس لمثلك أن تذكرَ اسمَ الله . . . . .

ما مضى قد فات ولاسبيل الى رده . وسيجرى لك ماجرى لغيرك من قبل ؛ تبدئين اتيان المنكرَ فى الخفاء ، لاتعرفين الا عشيقا واحداً . ثم لاتلبثين حتى يكثر العشاق ، ويتسع النطاق ، ويعرفك الكثير من سكان البلدة ثم تعرفك البلدة بأسرها .

إن العار يولد سراً مُكتَّماً ، لايعلم أحد بمولده ؛ تُسْدل عليه الاستار ويحيط به ظلام الليل البهيم . ويَوَدّ الذين ارتكبوا العار أن لوقتلوه قتلا ومَحَوْه مُحواً . لكنه رغم هذا ينمو ويكبر . ثم يبرز من الخفاء والظلام فيسير فى رابعة النهار . وهو — على بروزه واشتهاره — لايزداد الا قبحا ودمامة وكلما سمج منظره وقبحت صورته ازداد فى النهار تسيارا و بين الناس اشتهارا .

لكأنى بك أيتها الفاجرة وقد التقى بك فى الطريق كرام الفتيان من أبناء

هذا البلد ؛ فحولوا عنك وجوههم كأنك جيفةٌ ممتلئة و باءٍ وعدوى .

ولعمرى كيف تطيقين أن تنظرى الى الناس . فلا تذو بين عاراً وخجلا . وأخلق بك أن تنزعى عنك هذه السلسلة الذهبية ؛ وألا تدنسى أرض الكنيسة باقترابك من المذبح المقدس ؛ وألا ترِى الناس وجهك فى المحافل والمراقص . واولى بمثلك أن تعتزل العالم و تنزوى فى ركن مظلم خرب . وأن تلقى بنفسك وسط المتسولين وذى العاهات . ولئن شاءت رحمة الله فى الدار الآخرة أن يعفو عنك و يصفح ، فليكن حظك فى الدنيا الألم المُبرِّح والشقاء المُضْنِى.

مارتا

أولى لك وأنت على باب الموت أن تستغفر الله ر بك بدلا من أن تفوه بهذه اللعنات والشتائم .

فالنتين

مَنْ لى بأن أمزق جلدك البالى إرَباً ايتها القوادة الدنسة . اذن لنلت من الله المغفرة على كل ما جنيت من الذنوب .

مرغريت

اخى ! انك لتعانى أشد الآلام .

فالنتين

دعى العويل والبكاء ! إنك أوليتنى أشد الآلام وأقساها يوم غادرت سبيل الطهر والعفاف.

الآن تغشانى سكرة الموت . وهأنذا سائر الى مولاى . . . جنديا شجاع القلب — علم الله — شريف النفس .

(يموت)

— ٢٠ —

كنيسة عظيمة

صلاة وأناشيد وتوقيع على الارغن

(مرغريت تصلي وسط أناس كثيرين ومن خلفها ملك النقمة)

ملك النقمة (١)

ويك يا مرغريت ! كيف حالت بك الحال منذ أن كنت تأتين المعبد وتقفين لدى المذبح ؛ وقلبك ملؤه الطهارة ؛ فترتلين الصلوات بصوت رخيم . . كانت نفسك اذ ذاك مزيجاً من مرح الأطفال وطهارة الآلهة . فشتان مابينك اليوم وما كنت عليه في ذلك الزمن .

مرغريت ! أي خاطر يجول بنفسك ؟ أي اثم شنيع تريدين ارتكابه ؟

أتصلين الآن على روح أمك ، وقد كنت أنت السبب في ورودها حوض المنون بعد أن جرعتها أمر العذاب ؛ ثم غادرتِ روحها فريسةً لآلامٍ طويلٍ مداها، شديدٍ وقعها .

ثم أي دم هذا الدم الذي يخضب عتبة دارك ! ؟

ثم ما هذا الذي يتحرك في أحشائك وينمو كل يوم ، فترتعد فرائصك ، خشيةً عليه وعليك مما يخبؤه لكما الزمان ؟

مرغريت

ويلاه ! من لي بأن تنجاب عني هـذه الخواطر ، التي ما برحت تعاودني بالرغم مني ؟

---

(١) يمثل ملك النقمة هنا ضمير مرغريت يؤنبها على ماصنعت وما تريد أن تصنع . فقد قتلت أمها بما ألقت في شرابها من السم وتريد التخلص من طفلها عند ولادته

جماعة المنشدين

انْتَبِهْ وَيْحَكَ من هذا السُّباتْ !

ان يوم الويل والنقمة آت .

يترك الدنيا هَبَاءً ثائراً

يخسف الأرض ويمحو الراسيات (١)

(توقيع على الأرغن)

ملك النقمة

لينزل بكِ الويل وليحل بكِ العذاب !

لقد نُفخ فى الصور ؛ و بُعثر ما فى القبور . ونُشر قلبك نشراً من وسط التراب — حيث الراحة والسكون — وانما ينشر ليعذب أشد العـذاب ؛ وسط السعير المضطرم .

مرغريت

من لى بأن أبرح هذا المكان ؟ لكأنى بهذا العزف يحبس أنفاسى . وهذه الأناشيد تذيب مهجتى

المنشدون

بَيْنَ أَيْدى مَالِكِ الملك القدير	يقفُ الناس لدى قاضٍ خطيرْ
ليس تخفى عنـده خافيـة	من جليل أو طفيف أو حقير
كل ذنب سوف يلقى قسطه	من قصاص الحاكم العدل القدير

مرغريت

إن صدرى يضيق ونَفَسِى ينحبس .

واخال هذه الأعمدة الضخمة سجناً موصداً على وكأن هذا السقف المرفوع

(١) هذه الابيات والتى بعدها انشودة دينية واحدة مشهورة مؤلفها رجل اسمه توماس تشيلانو كان يعيش فى القرن الثالث عشر

يسحقني سحقاً . . . أريد هواء

ملك النقمة

وماذا يجديك الاختباء ؟ ان العار والرذيلة لا يلبثان حتى يظهرا .

الويل ثم الويل لك؟ أتجرئين على أن تطلبي النور والهواء

المنشدون

يا لتعسى عندها ماذا أجيبْ ؟ حينما أُسأل فى اليوم العَصيبْ
أين لى مِنْ شافعٍ يشفع لى . حين لايغنى مُحِبٌّ من حبيب؛
حين لا يملك دفع الضر عن نفسه القانت والعبـد المنيب .

ملك النقمة

هيهات ! ان القانتين المنيبين الى ربهم لَيَنأَوْنَ بأوجههم عن رؤية أمثالك .

ان الصالحين يرتعدون فرقاً اذا لمستك أيديهم .

ويل لك ثم ويل !

المنشدون

يا لتعسى عندها ماذا أجيب ؟

مرغريت

يا جارتى ! أنجدينى !

(يغمى عليها)

(٢١)

ليلة والبورغ (١)

المنظر: جبال الهارتس بالقرب من قريتي شيركه Schierke وايلند Elend

فاوست وابليس

ابليس

أَمَا بك حاجةٌ الى عصا مكنسةٍ تركبها ؟

أما أنا فما أحوجني الى تيسٍ (٢) أمتطيه ؛ إن الغاية لا تزال بعيدة والطريق طويلة .

فاوست

مادمت أحس في رجْلَيّ نشاطاً وقوة، فحسبي هذه العصا العَقْداء. وماذا يجدينا أن نقصر من طول الطريق، وليس في رحلتنا هذه أشهى وأعذب من أن ننحدر

(١) تشير الخرافات التي كانت سائدة في العصور الوسطى الى أن الشياطين والسحرة والساحرات والارواح الضالة على اختلاف ضروبها وأشكالها تجتمع في الليلة الاولى من شهر مايو فوق القمة العليا من قمم جبال الهارتس بالمانيا ؛ واسم هذه القمة العليا جبل بروكن Brocken أو بلوكسبرغ Blocksberg . ففي تلك الليلة (ليلة والبورغ) يؤم تلك القمة من سائر الاقطار جماهير الابالسة والعفاريت والسحرة وهناك ينغمسون في اللعب واللهو على النحو الذي سيراه القارىء. ولعل ابليس أراد أن يلهي فاوست عن الجرائم الثلاث التي ارتكبها : من تدنيسه عرض فتاة الى قتل اخيها والتسبب في تسميم أمها . فانتقل به فجأة الى مجمع الشياطين ليسليه عن تذكر جرائمه . . وفي هذا الفصل كثير من الشعوذة ومن الترهات الغامضة ولم يكتف غوتيه بأن يعرض لانظارنا صورة الابالسة والسحرة بل نراه قد عرض لاعيننا أفرادا ممن اراد انتقادهم والسخرية بهم فحشرهم هنا مع الشياطين ؛ وهذا الفصل في حاجة الى شرح كثير لن يتسع له المقام وسنكتفي بالاشارة الى الاشياء الهامة جداً .

(٢) عصا المكنسة والتيس كلاهما من مراكب الشياطين .

وسط هذه الأودية العديدة ، ثم نصعد هاتيك الصخرة ، حيث يتفجر ذلك الينبوع فتندفع منه المياه بقوة ؟

إن الربيع قد أخذ يبث روحه فى أشجار الكافور ؛ وقد أثّر حتى فى دوح الصنوبر . فهل تبقى أعضاؤنا دون أن يؤثر فيها الربيع ؟

ابليس

لست أحس من روح الربيع شيئاً . ولم تزل فى جسدى بعدُ بقايا الشتاء القارس وأَحَبُّ الى أن يكون طريقنا وسط الثلج والجليد .

لقد أخذ قرص القمر يرتفع فوق الأفق ، كئيباً حزينا ، قد أدركه النقص واحمرت صفحته ؛ فلايسطع منه غير ضياء ضئيل . حتى إن المرء ليصطدم فى كل خطوة يخطوها بشجرة أو صخرة . . . فدعنى أنادى أبا مشعال [١] فيرشدنا ويرينا السبيل . وهأنذا ألمح واحداً،لهيبه متأجج . . أيها الصديق ! تعال الينا ! ولا تجعل نارك تتأجج عبثاً . انك تحسن صنعاً إن أنرت لنا سبيلنا أثناء صعودنا .

أبو المشعال

أنى لارجو أن أوفق الى تذليل طبعى ، وكبح جماحى اكراما لكما . فان الطريق التى أسلكها عادةً شديدة الاعوجاج

ابليس

أجل ، انك بهذا تبغى التشبه ببنى آدم . . لكنى آمرك باسم الشيطان أن تسلك طريقا مستقيما ؛ والا أطفأت سراج حياتك

أبو المشعال

يبدو لى جليا أنك هنا رب الدار ، والآمر الناهى فيها . وسأبذل من اجلك

---

(١) ترجمة لكلمة Irrlicht والعامة تسميه(ابو مشعال) وهو فى اصطلاح الخرافات عفريت يقطن الغدران ويسطع منه نور يضلل به الناس ويسير بهم الى المستنقعات والى المهالك .

كل ما فى وسعى . . . لكن اذكر أن بالجبل اليوم جُنَّةً مما عليه من السحر والساحرين . واذا كان دليلك فى السير أبا المشعال ، فأجدر بك ألا تتطلب منه الدقة المتناهية .

(فاوست وابليس وابوالمشعال يتناوبون الانشاد[1])

لقد دخلنا عالم السحر والأحلام ؛ فكن لنا دليلا مرشداً أمينا .

حتى نصل بسرعة عظيمة الى تلك الأقطار الفسيحة المقفرة

***

انظر الى الاشجار : بعضها خلف بعض :

وهى تمر بنا مر السحاب

والى جلاميد الصخر ، مشرفة على الأودية

والى كل جندل ذى أنف طويل

يغط غطيطاً ؛ وينخر نخيراً .

***

بين الصخور و بين المروج ،

تنحدر الجداول والانهار .

فهل خريراً ما أسمعه أم غناء

أم عتابا حلوا بين أحباب ؟

أم أصوات تلك الأيام السماوية

التى تشتاقها النفس وتهواها ؟

إن الصدى يرن الآن ،

كما تتردد ذكرى العصور الخوالى .

***

(١) القطعة الاولى والرابعة لابليس والثالثة والخامسة لفاوست والثانية لأبى المشعال . هذا فيما يظهر من القرائن . وان يكن المؤلف لم يذكر مع هذه القطع اسم كل منشد .

أسمع صدًى أقرب الينا :
صدى البوم والغربان والصقور ،
وهي تنعب وتصيح؛ فهل بقيت كلها ساهرة؟
أهذا هو السَّمَنْدَر كامنا وسط الاعشاب
بأرجُله الطويلة و بطنه الغليظ ؟
وهذى جذور الاشجار ، كأنها الثعابين
تلتوى من بين الصخور والرمال ؛
كأنما تنشر حبائل ذات شكل غريب
لكى تزعجنا ، أو تتصيدنا .
وعروق الشجر تمد الى أرجل المارة أذرعاً طويلة.
وهذه الجرذان ذات الاشكال والالوان
قد احتشدت بجموعها وسط الحشائش والاعشاب
وطير الحباحب تطير أفواجا وزمرا
فتضلل الأفكار وتحير الابصار .

* * *

لكن قل لى أنحن وقوف
أم لا نزال صاعدين ؟
أرى الأشياء كلها تدور وتمور
والصخْر والشجر ينظران شزَراً
وذوى المشاعل قد تكاثر عددهم وتزايد لهيبهم

ابليس

تمسك بأذيالى : ولنصعد هذه القمة . فمن هنالك يستطيع المرء أن ينظر ، فى

دهشة وحيرة ، الى مامون وهو يتوقد ويتوهج فى جوف الجبل [١]

فاوست

ما أغرب وما أعجب هذا الضياء الحزين . يحاكى فى احمراره نور الفجر . وهو يضىء السهول والوهاد ، بل ان شعاعه ليصل حتى الى أعمق الأودية وأقصاها . هناك أبخرة تتصاعد . وهناك دخان يتطاير : وهاهنا لهيب وهاج يسطع من خلف الضباب المنتشر . وهو حيناً يبدو كأنه خيط دقيق . وطوراً يتفجر كأنه ينبوع . وهنا تراه ينساب بين الاودية ، فى كثير من الالتواء والانحناء . وله فروع وشُعَب عديدة . ثم تراه قد تجمع وتراكم فى ذلك الركن السحيق . وانظر عن كثبٍ منّا تر الشرر يتطاير كأنه رمل ذهبى منثور . ثم تأمل فى تلك الاسوار الصخرية وكيف تشتعل اشتعالا من أسفلها الى أعلاها

ابليس

أترى كيف أحسن المولى مامون إنارة القصر من أجل هذا العيد ؟ ومن حسن الطالع أن قد أتيحت لك رؤية هذا المنظر . الآن أحس قدوم الضيوف أفواجاً وزمراً

فاوست

ان هذا الاعصار الهائل يدوى زفيفه ، ويضرب ناصيتى ضربات أليمة

ابليس

تعلق بأضلاع الصخور جيداً . والا ألقاك الاعصار فى تلك الهُوَّة السحيقة . ان هذا الضباب قد زاد فى ظلمة الليل . ولو أنصتَّ لسمعتَ صوت الدَّوح اذ تتهشم

---

(١) مامون Mammon إله الذهب ، ووجوده فى أعلى الجبل (بروكن) كناية عن انه من أكبر وسائل الضلال . وفى القطعة الآتية وصف لتوزيع الذهب او لسوء توزيعه وتقسيمه بين الناس

وتتحطم ، فتطير البوم منزعجة . ان أعمدة تلك القصور الخضراء الابدية[١] تنشق وتتمزق ، وفروعها تُكسَر وتُبْتَر ، وجذوعها تئن وترن ، وجذورها تُجْتَثُّ أو تنفجر . ثم تنقض جميعاً ، بعضها فوق بعض ، حتى تكاد تسد الهوة ، والريح بينها تزأر زئيراً ، وتصفر صفيراً

ألا تسمع أصواتاً فى الفضاء ، منها البعيد ومنها القريب . ان أناشيد السحر والساحرين تملأ الجبل من أقصاه الى أقصاه

ساحرات منشدات

الساحرات صاعدات الى جبل بروكن ،
وقد اصْفَرَّ الحطب ، واخضرت البذور .
هنالك تحتشد الجماهير ؛
ويجلس شيخ الابالسة على رأس الجميع .
. . . . !

صوت

ها هى العجوزة (باو بو)[٢] آتية وحدها ، وقد ركبت ظهر خنزيرة .

المنشدات

الشرف لمن له الشرف . . .
تفضلى يا مولاتنا باو بو فقودينا .
فهذا خير خنزير عليه خير أم .

---

(١) اى الغابات

(٢) باوبو (Baubo) هى — فى اساطير اليونان — وصيفة للربة ديمتر Demeter التى اصيبت بفقد ابنتها برسيفون Persephone فكانت وصيفتها المذكورة تجتهد فى تسليتها بالقصص والحركات المتناهية فى القبح والفحش حتى ذهب عن الربة حزنها . فجعلها غوتيه قائدة

صوت

من أى طريق أنت آت ؟

صوت

عن طريق (الزنشتاين) (٣) وهنـاك نظرت الى البوم فى وكرها ، فحملقت فى وجهى .

صوت

الى جهنم أيها الصديق ! ولـكن مالك تخب مسرعاً .

صوت

انها سلخت جلدى سلخا ، فأحدثت به ماترى من الجروح .

الساحرات المنشدات

إن الطريق عريض ، إن الطريق طويل .
يا عجبـا لهـذه الجمـوع الغريبـة .
مِنْ كلٍّ راكب عصا مكنسةٍ قد تحطمت
أو شوكة قد تهشمت . ان الامهات ، من شدة الزحام ،
قد انفجرت منهن البطون ، واختنقت الأجنةّ .

فريق السحرة

نحن نسير ببطء كما تمشى القواقع
والنساء قد سبقننا بشوط بعيد .

---

(٣) اسم لصخرة كبرى Ilsenstein فوق جبال الهارتس

ومتى كان الشيطان هو القصد والقبلة .

فالنساء يسبقن بآلاف الخطى

فريق آخر من السحرة

أما نحن فلا نرى هذا الرأى تماما ؛

حقيقة ان النساء قد يسبقن بآلاف الخطى

ولكنهن ، مهما أسرعن وتقدمن ،

فبوثبة واحدة يلحق بهن الرجال . (١)

صوت واحد (من فوق)

انهضوا ويحكم من بين الصخور وتعالوا معنا .

صوت (من اسفل)

حبذا لو استطعنا ان نلحق بكم الى العلا . اننا مازلنا نغسل ونتطهر ، حتى غدونا ناصعى البياض ؛ وبرغم هذا تذهب جهودنا عبثاً .

المنشدون والمنشدات

لقد خرست ألسن الرياح ؛ وهربت النجوم من السماء .

ويود القمر الحزين ان يستر وجهه عن العيون .

وافواج السحرة تملأ الآفاق بأزيزها .

وبالشرر المتطاير من وقع خطاها .

صوت (من اسفل)

تمهلوا ! تمهلوا !

---

(١) فى هذه القطعة وما قبلها مقارنة ظاهرة بين الرجل والنساء فى سيرهم الى الشر .

صوت (من أعلى)

من هذا المنادى من وسط الأخدود ؟

صوت (من أسفل)

خذونى معكم ! لا تتركونى ! قد قضيت ثلاثمائة عام أجد فى الصعود . ولم أزل عاجزاً عن بلوغ القمة . وأود لو أتيح لى أن ألحق برفقائى ومن على شاكلتى

المنشدون والمنشدات

إركَبْ عصاً أو مكنسة !
اركب شوكة أو اركب جَدْياً
يحملك كل منها حملا .
من لم يستطع اليوم نهوضاً وتحليقاً
فقد كُتِبَ عليه الذل مدى الدهر .

نصف ساحرة (من اسفل)

لقد طال تسيارى وراءكم ؛ واقتفائى أثركم . ولم يزل بينى و بينكم مدى بعيد . الويل لى والثبور ! ان بقيت فى وطنى لم أجد هناك دَعَة ولا راحة وهنا أكِدّ وأكدح فلا يجدى عنائى شيئاً (١)

الساحرات المنشدات

للساحرات مَرْهَمٌ يقوى من عزائمهن
وحسبهن أن يتخذن الخرقة البالية شراعا ؛
ومن الطسوت القديمة سفيناً ،
فتطير بهن فى جو السماء .
ان من لم يطِرِ اليوم، فلن يطير أَبَدَ الدهر.

---

(١) لعل هذه العجوز رمز لمن يحاول أمراً فوق طاقته ، وكثير مما يورده المؤلف هنا رمز على معنى أو مسألة . ولكن من المتعذر جداً معرفة ما يرمى اليه فى كل حالة

جميع المنشدين

فاذا ما بلغنا القمة

فانتشروا فى كل حدب وصوب !

حتى لا يبقى حشيش أو عشب

الاوقد غشيته جموع الساحرين والساحرات

(يهبطون جميعا من الجو الى الارض)

ابليس

الجماهير تتزاحم وتتدافع ؛ وتصطخب وتضطرب ، وتَصْفِرُ وتزأر ، وتتجاذب وتتصادم . . . فَمِنْ نارٍ تشتعل ؛ وشرر يتطاير ، وروائح منتنة خبيثةٍ تتصاعد . حقيقةً لقد اجتمعت العناصر السحرية واحتشدت . فتعلق بأذيالى والا فسرعان ما يُفَرِّقْ بيننا . أين أنت ؟

فاوست (من بعيد)

هنا !

ابليس

ما هذا ؟ أبعدت عنى الى هذا الحد ؟ لا بُدَّ لى اذن أن أطالب بحقوقى كصاحب هذه الدار . أفسحوا مكاناً لمرور ابليس ! أفسح مكاناً أيها الجمهور العزيز ! والآن أيها الدكتور تعلق بى، ولنخرج من بين هذا المزدحم بوثبة واحدة ! لم أعد ، حتى أنا ، قادراً على تحمل كل هذا . تعال فأنى أرى هناك فى تلك الناحية شيئاً يسطع نوره ، وله بريق يجتذبنى نحوه اجتذابا . فهلم بنا ولننحدر اليه من بين هذه الأدغال

فاوست

انى لأعجب منك يا روح التناقض ! أبعد أن كابدنا كل هذا العناء فى ليلة

والبورغ من أجل الوصول الى قمة جبل (بروكن) تريد الآن أن ننزوى فى مكان منعزل ؟

ابليس

أنظر ويحك الى تلك الشعلات من النار ، ذات الألوان البديعة ! هنالك نادٍ صغير كله سرور وفرح . وانما يكون اللهو والطرب فى المجتمع الصغير

فاوست

كنت أود البقاء بأعلى الجبل . وهأنذا أبصر هناك نيراناً تتأجج ، ودخاناً يتصاعد . . . والجماهير قد لبت داعيَ الشرور . فلا بد أن تكون هنالك ألغاز تُحَلّ وأسرار يُكشف عنها الغطاء .

ابليس

وهناك أيضاً عُقَدٌ لن تُحَل بل تزداد تعقيداً . فدع العالم الكبير يموج بعضه فى بعض . ولنلجأ الى مكانٍ هادىء أمين . . وكم من عالَم صغير فى داخل العالَم الكبير ؛ كما قيل فى المثل المأثور .

فى هذا الوادى الصغير أرى ساحرات فى عنفوان الشباب ، عاريات من الثياب . وساحرات عجائز قد لبسن ثيابهن ، حزماً منهن وعقلا . فتعال اذن وتلطف بهن ، فان هذا لا يكلفك الا عناءً قليلا ؛ وستجنى من ورائه لذة كبرى . وكأنى أسمع موسيقاهن تعزف عزْفَها الملعون . . لكننا سنعتاد سماعه ، فهلم بنا اليهن ، وسأسير أمامك لكى أريك الطريق .

ها نحن أولاء قد وصلنا ! أنظر الى ما حولك ! أترى أنه ليس بالمكان الصغير كما كنت تظن . وان الطرف يكاد ألا يبلغ مداه ، ففى صفٍّ واحد أرى مائة نار تستعر استعاراً . وقد اجتمعوا حولها يرقصون ويطربون ؛ ويطبخون ويشربون ويتغازلون . فهل فى العالم ما هو أحسن من هذا ؟

فاوست

والآن أتريد أن تظهر أمامهم كساحر أو كشيطان ؟

ابليس

انى وان كنت اعتدت أن أسير متخفياً فى لباس بسيطة بيد أنى فى أيام الأعياد الكبرى لا أجد بأساً فى أن يَظْهَرَ المرء فى حُلله وأوسمته الرسمية . حقيقة انى ليس لى وسام (ربطة الساق) ؛ لكنَّ أقدام الخيل التى لى يعرفها هنا الخاص والعام . أترى ذلك الحلزون الذى يزحف نحونا ؟ انه قد استطاع برأسه الممدود أن يتعرف خبيئة أمرى ، ويشم رائحتى . فلو انى أردت التنكر هنا لما استطعت الى ذلك سبيلا

فهلم بنا ولْنَطُفْ بهذه النيران . ولأكن أنا لك واسطة ولتكن أنت الخاطب

(ثم يخاطب جماعة جالسين حول نار فى عزلة عن الجميع)

أيها الشيوخ الكرام ! ما بالكم قد انتحيتم ناحية عن الجميع ؟ وما أجدركم بأن تكونوا وسط المعمعة والهياج ؛ وحسبكم عزلة حينما تكونون فى منازلكم[(١)]

قائد

من ذا الذى يجعل الأمم موضعاً لثقته ؟ ان الانسان مهما قدم لها من جليل الخدمات ، فما برحت الأمم ، دأبها دأب النساء ، لا يحلو فى نظرها غير الشباب

وزير

اليوم قد حاد الجميع عن جادة الصواب . فيا حبذا العهد القديم يوم كنا نحن السادة ، وليس من فوقنا أحد . كان ذلك العهد هو العصر الذهبى .

حديث النعمة

على انا لم نكن من البلاهة بحيث لم نتهز كل فرصة سانحة . ولكم أقدمنا

---

(١) هذه الجماعة رمز يمثل لنا نفور الجيل القديم من الجيل الحديث ، تلك الظاهرة الابدية